

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكانة العلمية للتراث الجغرافي العربي الإسلامي

د. سعد أحمد حسن
د. مسعود بن عبد الرحمن الجنيدي

أولاً: الإطار النظري للدراسة:

١-١ نظرة في اهتمامات المستشرقين بكتب التراث الجغرافي :

يظهر التناقض في اهتمامات الجغرافيين بين المستشرقين والعرب في التراث الجغرافي بين المُشيد (المستفيد) والمهمل (المتجاهل). ولعل إدراج رؤية المستشرقين في هذا البحث محاولة لإبراز القيمة العلمية والاستشهاد على المكنون الجغرافي القيم. فقد ارتبطت الاهتمامات الاستشراقية بالكتب التراثية الجغرافية وأخذت الملامح التالية:

(١) ترجمة المصنفات إلى اللغات القائمة؛ فمثلاً من خلال استقراء كتب الجغرافيين المسلمين وجد اهتمام منقطع النظير بكتاب الإدريسي "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، فقد تعددت طبعات أجزاء منه بعد ترجمته - حسب اهتمام المستفيد - حيث ربت على عشرين ترجمة لأبوابه المختصة بالبلدان المتعددة، مما يدل على النضج الذي وصلت إليه الكتابات الجغرافية. وجاء في دائرة المعارف الفرنسية أن مصنف الإدريسي هو أوفى كتاب جغرافي تركه لنا العرب وأن ما يحتويه من تحديد للمسافات والوصف الدقيق يجعله أعظم وثيقة علمية جغرافية (باشا، ١٤٠٤هـ، ص ١٢٠).

٢) اتخاذ بعض المضامين العلمية مرجعيات أساسية لشرح الظواهر الجغرافية والاستناد إليها عند الاختلاف، فما الكتب البلدانية إلا نوع من التتبع التاريخي للتطور الذي حل بخارطة العالم، خاصة القديم منه الذي أشبع بوصف واف.

٣) بناء القوانين والنظريات الجغرافية المعدلة أو المبنية على مفاهيم جغرافية إسلامية، فمثلاً بين الجغرافيون المسلمون تدرج المدن استناداً إلى معايير مختلفة، فالمقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" يقول: أعلم أنا جعلنا الأمصار كالمملوك، والقصبات كالحجاب، والمدن كالجند، والقرى كالرجال (المقدسي، ١٤٠٨هـ، ص ٥٤). ويمكن أن تكون تلك مرجعية علمية لنظرية الأماكن المركزية، وهذا ما يصدق أيضاً على نظرية جونز لنشأة الدول التي لها مفهوم قائم لدي ابن خلدون.

وتظهر صور الإشادة بالإعجاب في كثير من الكتابات العربية من ذلك ما ذكره المنيس في أن الكاتب الفرنسي أوزان ترجم عبارات كتبها عمرو بن العاص رضي الله عنه ^(١) - في وصف مصر للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - إلى عدة لغات أجنبية واصفاً إياها بأنها أكبر آيات البلاغة، وقال إنها من الفرائد في الإيجاز والإعجاز مقترحاً ضرورة تدريس مثل تلك الفرائد في مدارس المعمورة لكي يتعلموا منه طريقة الوصف ومتانة التعبير وصحة الحكم على الأشياء (المنيس، ١٤١٠هـ، ص ص ٢٦-٢٧).

(١) "مصر تربة غبراء وشجرة خضراء طولها شهر وعرضها عشر، يكتنفها جبل أغبر ورمل أعفر يخط وسطها نهر ميمون الغدوات مبارك الروحات يجري بالزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر له أوان تظهر به عيون الأرض وينابيعها حتى إذا عجز عجيجه وتعظمت أمواجه لم يكن وصول بعض أهل القرى إلى بعض إلا في خفاف القوارب وصغار المراكب فإذا تكامل في زيادة نقص على عقبه كأول ما بدأ في شدته وطمى في حدته فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته وأشرف سقاه من فوقه الندى وغذاه من تحته الشرى فعند ذلك يدر حلابه. فبينما هي يا أمير المؤمنين درة بيضاء إذا هي عنبرة سوداء وإذا هي زبرجدة خضراء فتعالى الله الفعال لما يشاء".

١-٢ تساؤلات الدراسة :

يمكن لأي باحث عربي مدقق أن يجد في التراث الجغرافي العربي الإسلامي أصولاً لمختلف فروع المعرفة التي تندرج تحت فروع علم الجغرافيا بمفهومه الحديث، وهذا يدعو إلى البحث عن الأسباب التي تستر وراءها المنفعة العلمية لما جاء فيها. ويمكن طرح عدد من التساؤلات التي تعطي إجاباتها بياناً للمشكلة القائمة:

(١) هل الخطط الدراسية في الجامعات العربية مسؤولة عن تهميش التراث الجغرافي؟

(٢) لماذا يضعف منحى التحقيق الجغرافي لكتب التراث الجغرافي في الأطروحات العلمية؟

(٣) كيف يكون الاعتناء بأبحاث التراث الجغرافي الإسلامي لأعضاء هيئة التدريس في أوعية النشر العلمية الخاصة بالأبحاث الجغرافية؟

(٤) ما مدى انعكاس التخصص الدقيق على تهميش التراث الجغرافي العربي الإسلامي؟

(٥) هل تأثر حجم الاقتباس المعرفي من مصنفات التراث الجغرافي بالصورة الخاطئة المرسومة للمنهجية التي كتبت بها تلك المصنفات؟

١-٣ مبررات الدراسة :

يقف الجغرافي العربي الغيور على التراث الجغرافي الإسلامي مذهولاً عندما يجد أن أغلب الجغرافيين العرب المعاصرين يسجلون معلومات جغرافية من كتب الفكر الجغرافي الحديث بعد نحتها من الصخر عبر الترجمة، بينما يمكن أن يجدوا لها ما يماثلها في التراث الجغرافي الإسلامي، ولعل هذا راجع إلى جهلهم بواقع

المتون العلمية للمصنفات أو بسبب قصور اطلاعهم على كتب المصنفات التي تزخر بها المكتبات.

ورغم أن بعض الندوات الجغرافية المعقودة على مستوى أقسام الجغرافية تحاول إعطاء التراث الجغرافي نوعاً من الأهمية بتخصيص أحد المحاور لهذا الجانب إلا أن الأبحاث التي تقدم في هذا المحور تكون محدودة والمعالجة لها مقصورة على مواضيع عامة، وبهذا لا تتضح الرؤية العلمية الفعلية للمشاركين حول واقع الجغرافية التراثية، ولكن يمكن للندوات المتخصصة أن تؤدي ثماراً يانعة ومن أمثلة ذلك اللقاء الذي نظمه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بوزارة الثقافة عام ١٩٧١م بجمهورية مصر العربية تحت عنوان "دراسات عن المقريري" والذي خرج عنه عدد من الأبحاث العلمية المتخصصة والاستنباطات العلمية لما أضافه أحد أعلام الجغرافية (المقريري) الذي عاش في القرن التاسع الهجري.

١-٤ أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في إعطاء صورة لواقع الإهمال الذي يلقيه التراث الجغرافي من قبل الجغرافيين العرب في الوقت المعاصر عبر دراسة ميدانية لمجموعة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات العربية، وذلك عن طريق توزيع استبانة (ملحق ٣) وضع بها أهم المتغيرات التي من شأنها الإجابة على تساؤلات الدراسة.

ويمكن أن تعطي هذه الدراسة توصيات جدية يمكن بها رفع مكانة التراث في برامج ومناهج ومفردات المقررات الجغرافية، خاصة وأن المصنفات التراثية متعددة ومتنوعة في المحتوى العلمي، وهذه الميزة اقترنت بالمدة الزمنية التي سطرت بها تلك المصنفات والتي امتدت زهاء ثمانية قرون. وتتلخص أهمية الموضوع في النقاط التالية:

(١) معرفة ما للتراث الجغرافي الإسلامي من قدرة على مناظرة للأفكار والمعلومات المدونة في الكتب الجغرافية المعاصرة، حيث أن لتلك الأفكار والمفاهيم ما يوازيها في كتب المصنفات التراثية أو مأخوذة عنها.

(٢) بيان القدر المعطى للمصنفات التراثية من التحقيق والدراسة في أبحاث الجغرافيين المعاصرين العلمية ومقارنتها بالدراسات الاستشرافية التي اهتمت بالمعرفة الجغرافية العربية والإسلامية.

(٣) تحديد العوامل والمحددات التي أضعفت من استفادة جغرافي العصر الحديث من معين أوعية التراث الجغرافي المتعددة والمتنوعة والأصيلة في طرحها العلمي.

(٤) محاولة وضع بعض التصورات العلمية والأكاديمية التي يمكن بها الاستفادة من القيمة العلمية للمصنفات التراثية.

ثانياً: من أوجه التناظر بين التراث الجغرافي الإسلامي والجغرافية المعاصرة؛

يعتقد البعض من الجغرافيين المسلمين المتأخرين - إما عن جهل أو عدم تقييم صحيح للتراث الجغرافي الإسلامي - أن التراث الجغرافي الإسلامي لا يرقى في منهجيته وتحليله وعرضه للمعلومات إلى ما يناظر ما لدى الجغرافية المعاصرة الغربية ولذلك ما فتوا يتبعون الجديد الذي يأتيهم من الغرب مقلدينهم في أبحاثهم واتجاهاتهم العلمية ناسين أو متناسين الكنوز الجغرافية التي خلفها لهم أجدادهم المسلمون خلال القرون التي امتدت من القرن الثاني الهجري إلى التاسع الهجري (٨-١٥م) ولا يعلمون أن الذين يهرولون وراءهم قد سبقوهم وأخذوا علومهم أولاً من التراث الجغرافي الإسلامي عندما بنوا جغرافيتهم على أساس من الجغرافيا الإسلامية في شتى فروع علم الجغرافيا.

وعند إمعان النظر في التراث الجغرافي الإسلامي وما يناظره من الجغرافيا المعاصرة نجد الكثير من المعارف والأسس والمفاهيم العلمية الجغرافية لا يزال يستخدمها علماء الغرب، وللحقيقة فإن البعض منهم يرجع الفضل لأصحابه (المسلمين) ومنهم من ينسبه لنفسه لضعف الأمانة العلمية لديه.

ويمكن عرض نماذج للجغرافية الإسلامية وما يقابلها من الجغرافيا المعاصرة وبعض الحقائق العلمية التي توصل إليها المسلمون، وذلك على سبيل المثال لا الحصر، حيث إن الحصر يحتاج إلى مجلدات. فإذا كانت الجغرافية المعاصرة تميزت بتعدد فروعها ودقة تخصصاتها، حيث اشتملت الجغرافيا الطبيعية على عدة فروع ضمت الدراسات المناخية والجيوغرافيا الجيولوجية وجغرافية المياه القارية والعذبة والتربة والحيوان الطبيعي. وتعددت أيضاً فروع الجغرافية البشرية إلى تخصصات منها الجغرافية الاقتصادية وجغرافية العمران، والسكان، والجغرافية السياسية، والاجتماعية وغيرها من التخصصات الجديدة. فإن الجغرافية الإسلامية لم يكن لها أمثال هذه الدراسات المتخصصة، حيث كان التخصص منافياً لطبيعة العصر (خصباك، ١٤٠٤هـ، ص ١٧٠). ويمكن التأكيد بأن الجغرافية الإسلامية في العصور الوسطى جمعت بين ثنائها معظم هذه التخصصات دون أن ينفرد أي منها بعلم خاص به، ولكن من الواضح أنها شملت فرعين رئيسيين هما الجغرافيا الفلكية، والجغرافية الإقليمية (الوصفية).

٢-١ الجغرافيا الفلكية (الرياضية)

كانت بداية هذا العلم على يد العرب بحكم البيئة الصحراوية التي يعيشون فيها، حيث كانت النجوم مرشداً لتحركاتهم في الصحراء العربية الواسعة، لذا برع الجغرافيون المسلمون في الجغرافيا الفلكية التي كانت خليطاً من علم الفلك والجغرافيا الطبيعية فكان من بين جنباات هذا الفرع دراسة المواضيع التالية: شكل الأرض وحركتها، قياس محيط الأرض، الأزياج الفلكية، تعيين خطوط الطول

والعرض، تعيين المواضع الجغرافية، بالإضافة إلى شيء يسير عن الجغرافية الطبيعية يشمل معلومات مناخية، وعن البحار والمحيطات، وعن أشكال سطح الأرض وأسباب تكوينها (الجيومورفولوجيا) كما وردت بعض الموضوعات الأخرى الخاصة بالجغرافية الطبيعية في المصنفات الإقليمية (الوصفية) أو ما يسمى بجغرافية المسالك والممالك.

ويمكن إيراد بعض الحقائق التي توضح السبق العلمي الذي حققه المسلمون في الجغرافية الفلكية مناصرةً بالجغرافية المعاصرة انظر الملحق (١).

٢-١-١ كروية الأرض

اعتقد الجغرافيون المسلمون الأوائل منهم والمتأخرون بكروية الأرض، وظهر ذلك جلياً في كتاباتهم وساقوا العديد من الأدلة على ذلك؛ فقد وصف ابن خرداذبة في مصنفه (المسالك والممالك) ما يؤيد ذلك فقال "قال: أبو القاسم صفة الأرض أنها مدورة كتدوير الكرة موضوعة في جوف الفلك كالمحة في جوف البيضة" (ابن خرداذبة، ١٨٨٩ م، ص ٤). وذكر ابن رسته في كتابه الأعلام النفيسة، المجلد السابع ما نصه "وكذلك أجمعت العلماء على أن الأرض أيضاً بجميع أجزائها من البر والبحر على مثال الكرة والدليل على ذلك أن الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوجد طلوعها ولا غروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد بل يرى طلوعها عن المواضع المشرقية من الأرض قبل طلوعها على المواضع الغربية وغيوبتها من المشرقية أيضاً قبل غيوبتها من الغربية" (ابن رسته، ١٨٩٢ م، ص ١٢)، وقد ساق مجموعة من الأدلة في مصنفه المذكور على كروية الأرض، وجميعها أدلة علمية يستشهد بها حتى الآن.

وساق الزهري في مصنفه (كتاب الجغرافية) أدلة على كروية الأرض فيقول "اختلف الناس ممن سلف وخلف أن الأرض كروية، ومنهم من قال إنها سطح، فأما

من قال إنها سطح فلا يقوم له برهان، وأما من قال إنها كروية فله من ذلك البراهين الواضحة والدلائل البينة منها: جري الماء على الأرض، واختلاف النظر في الفلك، وقصر الظل، وقصر الليل، وطول النهار وإيلاج بعضهما في بعض واختلاف درج الطالع، ولو كانت الأرض سطحية لم يكن في الفلك من هذا كله شيء، وكان الليل والنهار على حد واحد طول الدهر " (الزهري، ب.ت، ص ص ٤-٥).

وأكد أيضاً أبو الفدا المتوفى سنة ٧٣٢هـ في مصنفه (تقويم البلدان) كروية الأرض، وابن الفقيه (الهمداني) في مصنفه (مختصر كتاب البلدان)، والدمشقي في مصنفه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) (طعماس، ١٩٩٧، ص ١١٩). وكذلك إخوان الصفا في رسالتهم الرابعة، وابن خلدون في المقالة الثانية من مقدمته الشهيرة (خصبك، ١٩٧٥، ص ص ٢٦-٢٧).

٢-١-٢ قياس محيط الكرة الأرضية وخطوط الطول والعرض

توصل بعض الجغرافيين المسلمين المهتمين بهيئة الأرض إلى أرقام قريبة لأبعاد الكرة الأرضية وتكاد تكون هي ذات الأرقام الذي وصلت إليها الجغرافية المعاصرة بكل ما لديها من أجهزة قياس حديثة لا تقارن بما كان لدى المسلمين من طرق أولية. وهذه هي العبقريّة التي تتمثل في الوصول إلى الحقائق العلمية بأدنى أدوات القياس المتاحة مما يؤكد توقّد عقول هذه النخبة من الجغرافيين القدامى علمياً. فإذا علم أن قطر الأرض حسب القياسات الحديثة يبلغ الاستوائي ١٢٧٥٦,٤٩ كم، والقطبي ١٢٧١٣,٧٣ كم، وأن محيط الأرض يبلغ عند خط الاستواء ٤٠٠٧٧ كم وما بين القطبين ٤٠٠٠٠ كم، وأن المسافة الفاصلة بين كل دائرتي عرض تصل إلى ١١,١١ كم ومقارنة ذلك بما حققه المسلمون نجده قريباً، حيث وجد أن قياسات أبي الريحان البيروني وأبناء موسى بن شاكر - الذين كلفهم الخليفة العباسي المأمون بإجراء تلك القياسات - قريبة من هذه القياسات، فضلاً عن أنها أصبحت مرجعية لدى الجغرافيين المتأخرين.

وقد أخذت قياسات الجغرافيين بالقبول من لدن المتأخرين من رواد الفكر الجغرافي الإسلامي، فهذا ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان استند إلى قياس أبي الريحان البيروني في قطر الأرض ومحيطها، حينما ذكر أن طول قطر الأرض بالفراسخ ألفان ومائة وثلاثة وستون فرسخاً وثلاثا الفرسخ ودورها (محيطها) بالفراسخ ستة آلاف وثمانمائة فرسخ^(١).

وحدد البتاني والفرغاني محيط الأرض بمدى ٢٠٤٠٠ ميلاً عربياً (حوالي ٤٠٢٥٣ كم)، ونصف قطرها بنحو ٣٢٥٠ ميلاً عربياً (حوالي ١٢٨٢٦ كم) (نفيس، ١٩٧٨ م، ص ٢٢١). وقاس البيروني المسافة بين دوائر العرض فوجد أنها ٥٦,٠٥٠ ميلاً عربياً (تعاادل ٦٠٣, ١١٠)، وقدر أبناء موسى بن شاعر المسافة قريباً من ذلك (١١١, ٨١٥ كم) للمسافة بين دائرتي العرض، ومحيطها (٤١٢٤٨ كم) (خصبك، ١٩٧٥ م، ص ٣٨). ويتضح من المقارنة أن القياسات التراثية الجغرافية دقيقة وأن الاختلاف البسيط في المسافة بين القياسات الحديثة والقياسات التراثية لم يؤثر على دراسة الظواهر الجغرافية المتعلقة بالأبعاد المكانية لسطح الأرض.

٢-١-٣ العلاقة بين اليابس والماء

تؤكد الدراسات في الجغرافية التاريخية على حدوث تغيرات في مستوى سطح البحر في شكل مد أو جزر كبيرين خلال الحقب الجيولوجية، وآخرها عصر البلايستوسين بسبب أدوار الجليد وما يتبعها من فترات الدفء والتي أدت إلى ظهور المعابر الأرضية (بكير، ١٩٩٣ م، ص ٥٨) واتساع أو ضيق مساحة اليابسة.

(١) الفرسخ وحدة قياس إسلامية تعادل ٣ أميال عربية. وقد تم حساب طول الميل العربي فوجد أنه يعادل ١٩٧٢,٣ متراً، وبذلك فإن الفرسخ يساوي ٥٩١٩,٩ متراً (٩٢,٥ كم) واستناداً إلى ذلك وجد أن قطر الأرض عند البيروني يصل إلى ١٢٨٠٩ كم، ومحيطها ٤٠٢٥٦ كم.

وقد أدرك العلماء المسلمون تلك التغيرات وسجلوها في مصنفاتهم. ذكر المسعودي حول هذا الموضوع " وأن جملة البحار متحركة إلا أن تلك الحركة إذا أضيفت إلى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعد قعورها صارت كأنها ساكنة، وليست مواضع الأرض الرطبة أبداً رطبة، ولا مواضع الأرض اليابسة أبداً يابسة ولكنها تتغير وتستحيل، لصب الأنهار إليها وانقطاعها عنها" ويذكر في موضع آخر فيقول "فليس موضع البر أبداً برأ، ولا موضع البحر أبداً بحرأ، بل قد يكون برأ حين كان مرة بحرأ، ويكون بحرأ حيث كان مرة برأ" (المسعودي، ١٩٨٢م، ص ٩٧).

وأشار البيروني في هذا السياق لموضوع التغيرات، مع ذكر بعض المناطق التي اجتازت تلك المرحلة بقوله " وعلى مثله ينتقل البحر إلى البر والبر إلى البحر، في أزمنة إن كانت قبل كون الناس في العالم فغير معلومة، وإن كانت بعده فغير محفوظة، لأن الأخبار تنقطع إذا طال عليها الأمد، وخاصة الأشياء الكائنة جزءاً بعد جزء، بحيث لا يفتن لها إلا الخواص. فهذه بادية العرب وقد كان بحرأ فأنكبس، حتى أن آثار ذلك ظاهرة عند حفر الآبار والحياض بها فإنها تبدي أطباقاً من تراب ورمال ورضراض، ثم يوجد فيها من الخزف والزجاج والعظام ما يمتنع أن يحمل على دفن قاصد إياها هنا، بل يخرج منها أحجاراً إذا كسرت كانت مشتملة على أصداغ وودع وما يسمى آذان السمك، إما باقية فيها على حالها، وإما بالية قد تلاشت وبقي مكانها خلاء متشكل بشكلها كما يوجد مثله في باب الأبواب على ساحل بحر الخزر " (طعماس، ١٩٩٧م، ص ٣٨). ويلاحظ على نصوص البيروني السابقة الإشارة الواضحة إلى الحفريات Fossils وطبيعة تكوينها وأسباب نشأتها وهو بذلك أول من أشار إلى ما يعرف بعلم الأحافير Paleontology (يوسف، ٢٠٠٢م، ص ١٩).

ترجع الدراسات الحديثة أسباب حدوث ظاهرتي المد والجزر في سواحل البحار والمحيطات إلى قوة التجاذب الكائنة بين القمر والأرض كجسمين ضخمين، تتناسب قوة التجاذب بينهما عكسياً مع مربع المسافة وطردياً مع كتليهما طبقاً لقوانين الجاذبية للعالم إسحاق نيوتن (شعبان، ١٩٧٨م، ص ١٩٠).

وأورد أغلب الجغرافيين المسلمين شرح ظاهرة المد والجزر منهم ابن خرداذبة في مصنفه (المسالك والممالك) بقوله "المد والجزر إنما يكون في بحر فارس (الخليج العربي) على مطالع القمر وأنه لا يكون في البحر الأعظم إلا مرتين في السنة مرة يمد في شهور الصيف شرقاً بالشمال ستة أشهر، فإذا كان ذلك طما الماء في مشارق البحر بالصين وانحسر عن مغارب البحر، ومرة يمد في شهور الشتاء غرباً بالجنوب ستة أشهر، فإذا كان ذلك طما الماء في مغارب البحر وانحسر بالصين" (ابن خرداذبة، ١٨٨٩م، ص ٧).

كما تناول تلك الظاهرة بالدراسة الدمشقي (شيخ الربوة) في مصنفه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر)، وأيضاً البكري في مصنفه (المسالك والممالك)، كما ربط إخوان الصفا بين حركة المد والجزر وحركة القمر والكواكب الأخرى، وبهذا يظهر سبق العلمي لعلماء المسلمين على غيرهم في تفسير وتحليل ظاهرة المد والجزر.

يرى العالم وليم موريس ديفيز (١٨٥٠ - ١٩٣٤م) أن الأشكال الأرضية تمر بدورة تحاتية، حيث قسم مراحل تكوين ظواهر سطح الأرض إلى ثلاث مراحل: مرحلة الطفولة، ومرحلة الشباب، ومرحلة الشيخوخة (أبو العينين، ١٩٨٩م، ص ٥٠-٥٤). وباعتبار أن الأنهار إحدى الظواهر الأرضية فإنها

تمر بتلك المراحل سالفة الذكر. وهذا التفسير قد سبقه به المسعودي بنحو ألف سنة إذ يذكر المسعودي في مصنفه (مروج الذهب ومعادن الجواهر) ما نصه " فإن لمواضع الأنهار شباباً وهرماً، حياة وموتاً، ونشئاً، ونشوراً، كما يكون ذلك في الحيوان والنبات، غير أن الشباب والكبر في الحيوان والنبات لا يكون جزءاً بعد جزء، لكنها تشب وتكبر أجزاءها، كلها، معاً وكذلك تهرم وتموت في وقت واحد " (المسعودي، ١٩٨٢م، ص ٩٧).

٢-١-٦ الأحوال المناخية

تصدى الجغرافيون المسلمون لدراسة الأحوال المناخية في مصنفاتهم بشكل يقترب من الحقائق المناخية الحديثة وإن تأثروا في بعض منها بموروث الإغريق والرومان، ولا يتسع المجال لحصر كل أوجه الريادة العلمية في الجغرافية المناخية لاتساع ما ذكر في هذا الفرع من الجغرافية الطبيعية، إلا أنه بالإمكان بيان أهم الكتابات التي أدرجت في هذا التخصص في مصنف المسعودي (التنبيه والإشراف)، ورسائل إخوان الصفا، ومقدمة ابن خلدون على سبيل المثال، حيث كانت معظم تلك المصنفات تناقش الشمس على أنها مصدر أساسي للحرارة على الأرض، وأسباب اختلاف درجة الحرارة في جهات الأرض والعوامل المؤثرة في مناخ الإقليم، وتوزيع الرياح السائدة الذي يقترب من التوزيع العام الحديث، وأثر الانتقال الظاهري للشمس ما بين مداري السرطان والجدي على توزيع الرياح واختلافهما باختلاف فصول السنة الأربعة، وأثر المناخ في الصفات البيولوجية والخلقية للإنسان، والتساقط والعوامل المؤثرة في كميته أو عدمه. والعديد من الآراء القيمة في هذا المجال للعديد من العلماء نورد منها بعض النصوص للمثال فقط. فقد ناقش المسعودي في مصنفه (التنبيه والإشراف) في مواضع عدة أثر الحرارة في تسخين الهواء وصعوده إلى أعلى، وأثر الجبال كموانع للرياح، وأن الرياح الشمالية في غالبيتها لطيفة تؤدي إلى تلطيف جو البلدان التي تصلها إذا

ما كان. هناك مانع مثل الجبال، وأن الرياح الجنوبية حارة فإذا وصلت إلى بعض المواضع جعلتها حارة وفي هذا يقول: " فقد حصل بما ذكرنا أن الحرارة تفعل الحركة صعوداً، وأن البرد يفعل الحركة سفلاً، وأنه لا فراغ في جرم العالم وأن الأجسام إذا حميت احتاجت إلى مواضع أوسع من المواضع التي كانت فيها، فما تحدثه الحرارة فيها من تباعد نهاياتها عن مركزها، وأنها إذا بردت صارت بضد ذلك لأن البرد يفعل على تقارب نهايات الأجسام (ذراتها) من مركزها، فتحتاج إلى مواضع أصغر من مواضعها " (المسعودي، ب.ت، ص ١١).

كما ورد أيضاً قوله " فمتى كان الجبل من البلد من ناحية الجنوب جعله أبرد لأنه يكون سبب امتناع الرياح الجنوبية، وإنما تهب فيه الشمالية فقط، ومتى ما كان الجبل من البلد من ناحية الشمال جعله أسخن لامتناع هبوب الرياح الشمالية فيه، وأما اختلافها لمجاورة البحار لها فمتى كان البحر من البلد من ناحية الجنوب كان ذلك البلد أسخن وأبرد، وإن كان من البلد في ناحية الشمال كان البلد أبرد وأيس " (المصدر السابق، ص ٢٦).

والخلاصة أن جغرافيين المسلمين اهتموا بدراسة المناخ وعناصره المتعددة لتأثيره الكبير على حياتهم، لذا سجلت العديد من الأمثلة والصور المسجوعة في مصنفاتهم المختلفة يضيق المجال عن ذكرها^(١).

٢-١-٧ البحار والمحيطات

على الرغم من البيئة الصحراوية التي نشأت فيها الدولة الإسلامية في العصور الوسطى إلا أن امتداد نفوذها من الأندلس غرباً حتى الصين شرقاً جعل علماءها على دراية كبيرة بأحوال البحار والمحيطات المحيطة بهم، فكان لها

(١) لمزيد من التفاصيل حول الكتابات التراثية في الجغرافية المناخية انظر: محمد، صباح محمود، (١٩٨١م)، دراسات في التراث الجغرافي العربي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، عدد ٢٥٢، دار الرشيد، بغداد، ص ص ٥٧-٨٠.

نصيب وافر من الدراسات في مصنفاتهم المختلفة وأبدوا فيها من الآراء ما يقارع المعارف الحديثة التي اتخذت من تلك الآراء مرجعية علمية لها، فمثلاً ناقشوا أصل مياه البحار والمحيطات واتصال البحار بالمحيطات إلا المغلق منها، كما أدركوا وجزموا بأن هناك يابسة إلى الغرب من المحيط الأطلسي (بحر الظلمات) وأثبت ذلك الفتية المغرورون الذين أبحروا من أسبانيا، ولذا فالعرب قد وصلوا إلى أمريكا الشمالية قبل الأوروبيين على أغلب الأقوال. وناقشوا التيارات البحرية، وأسباب ملوحة البحار، ومدى صلاحية البحار للملاحة، وأهم الجزر في تلك البحار، وكان لهم صولات وجولات بحرية نذكر منهم أحمد بن ماجد وسليمان المهري، وكذلك ناقشوا فكرة المد والجزر - سبق عرضه -، كما وصفوا سواحل البحار والمحيطات التي ارتادوها، ومن أبرز من كتبوا في المجال البحري المسعودي، والدمشقي، وإخوان الصفا، والبيروني، وأبو الفدا.

ومن النصوص الواردة في مصنفاتهم في الدراسات البحرية ما ذكره الدمشقي (٦٥٤ - ٧٢٧هـ) في مصنفه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) إذ يؤكد اتصال المسطحات المائية بعضها ببعض بقوله "البحر المحيط الذي منه عدد سائر البحار فاسمه من الجهة الغربية أوقيانوس والبحر الأخضر، وفي جهة جنوب الأرض والمشرق بحر الظلمات والبحر الزفتي الجامد، وفي جهة الجنوب البحر الأحمر وفي الشمال والغرب بحر الظلمة، وبحر ورنك والمحيط الشمالي ومن شمال الأندلس اللبلاية وبحر فارس، وذلك كله بحر واحد وماء متصل محيط بكرة الأرض مالح وسائر البحار التي بوجه الأرض غيره فإنها خلجان منه متصلة به فايزة منه والذي هو فيها غير متصل ببحر آخر ففي اتصالها به وعدم اتصالها به خلاف بين المعنيين بتحقيق ذلك والفحص عنه كبحر الخزر (قزوين) الذي هو وحده غير متصل ببحر آخر" (طعماس، ١٩٩٧م، ص ص ٢٦٣-٢٦٤)، وعن مصدر مياه البحار والمحيطات يقول "إن علة تكوين الماء وتكثرها إنما هو عصارات الأرض ومخازنها المجموعة فيها مياه الأمطار ورطوبات الأبخرة الندية المسماة الندى وذلك أن الرطوبات والعصارات المذكورة تحركها حرارة الشمس

وسخونة الأرض المستكنة في أعماقها فيلطف جوهر تلك العصارات بهذا التحريك المذكور فيرقى بخاراً حاراً رطباً" وبذلك أدرك الدمشقي حقيقة أن المصدر الأصلي للمياه المحيطية يتمثل بالمياه الأولية وهي المياه التي دخلت الدورة المائية منذ البداية والتي مصدرها باطن الأرض، وأكد تلك الحقيقة العلمية العالم الشهير رولدأوري حديثاً (طعماس، ١٩٩٧م، ص ٢٦٤).

وأبدع المسعودي في مصنفه (مروج الذهب..) في تحديد التوزيع الجغرافي للبحار وأهم الظواهر المقترنة بها^(١) وتوصل جغرافيو المسلمين إلى أن الماء يغمر ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، وهي الحقيقة التي تم إثباتها بالوسائل العلمية حديثاً، فقال أبو الفدا في مصنفه (تقويم البلدان) ما نصه "والقدر المكشوف من الأرض هو بالتقريب ربعها، أما ثلاثة أرباع الأرض الباقية بالتقريب فمغمور بالبحار" (خصباك، ١٩٧٥م، ص ١٠٨).

٢-٢ الجغرافية الوصفية (الإقليمية)

سلكت الجغرافية البشرية عند المسلمين منهجاً وصفيّاً بالأساس وتعددت أنماطها، وجاءت بالعلم الوافر الغزير في شتى الفروع التي منها الجغرافية الاقتصادية، والاجتماعية، وجغرافية المدن وجغرافية السكان، والجغرافية الدينية، والجغرافية اللغوية، إضافة إلى جغرافية النقل، والجغرافية التجارية، كما شملت أيضاً المعاجم والموسوعات وكتب الرحلات. وأخذ هذا الفرع من الجغرافية عدة مسميات، حيث أطلقوا عليها "المسالك والممالك" حينما ظهر أول مصنف من هذا النمط على يد ابن خرداذبة، وسميت "البلدان" وتارة "الأقاليم". وتعد الجغرافية الوصفية بكل فروعها ومنهجها هي وليدة البيئة العربية الإسلامية

(١) لمزيد من التفصيل في موضوع البحار والمحيطات يمكن الرجوع إلى: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، ج١، ص ٩٧-١٣٩.

(وهيبة، ١٩٨٤هـ، ص ٤١٦). وهذا على خلاف الجغرافية الفلكية (الرياضية) التي تأثر فيها المسلمون بغيرهم ممن سبقوهم. ويرسم تعبير المسالك والممالك في كتب الجغرافية الوصفية عند المسلمين منهجاً وهدفاً للجغرافية، فالمنهج يعتمد على الخريطة وتتبع الطرق (المسالك)، نظراً لأهمية ذلك لدولة مترامية الأطراف تحتاج لأن ترتبط أجزاءها بعضها ببعض ارتباطاً قوياً، وأما الممالك فيقصد بها الأقاليم الجغرافية الكبرى (غلاب، ١٩٨٤م، ص ١٣٥). ويتهم البعض هذا النمط من المصنفات الجغرافية الإسلامية بأنها سرد قصصي ويخلو من المنهج العلمي في البحث مقارنة بما تتميز به الجغرافية الحديثة؛ غير أن هذا القول مردود على من يعتقدونه لأن الجغرافية الإسلامية تميزت بالعديد من الخصائص العلمية المناظرة للمنهج العلمي الحديث:

١) استخدمت الجغرافية الإسلامية المنهج السببي التأثيري المتمثل في إيراد أسباب الظاهرة، ويظهر ذلك من خلال دراسة العلاقة بين المناخ وأثره في نشاط الإنسان بأقاليم الأرض المختلفة، وهذا ما اختطه ابن حوقل في مصنفه المسالك والممالك حينما وضع تفسيراً وتعليلاً علمياً لتدرج السلالات البشرية في أقاليم الأرض السبعة حسب النمط المناخي السائد، ويعدده بعض الجغرافيين من أوائل رواد الحتمية (خضر، ١٩٨٣م، ص ١٥٠).

٢) التلازم الواضح بين الخريطة والنص الجغرافي، فلم يخل مصنف من مصنفاتهم من الخرائط وذلك لإدراكهم أهميتها، فهذا الاصطخري رسم في كتابه المسالك والممالك إحدى وعشرين خريطة، ويرى باستخدامه الخرائط أنه أول من نهج هذه المنهجية العلمية في شرح الحقائق الجغرافية بواسطة رسم الخرائط ويقول في ذلك "الغرض من كتابي هذا تصوير الأقاليم التي لم يذكرها أحد علمته" (المرجع السابق، ص ٧٠). كما رسم ابن حوقل في مصنفه (صورة الأرض) ثنتين وعشرين خريطة.

٣) لم يعتمد المنهج العلمي في الجغرافية الإسلامية في جمع المعلومات على مجرد السماع والنقل من الرواة، بل سلكوا السبيل الصحيح للبحث، وهو طريق التجربة والملاحظة والملاحظة، كما لجأوا أحياناً للتجربة للتأكد من صحة المعلومات، خاصة في الجغرافية الفلكية والرياضية (الصيد، ١٩٨٤م، ص ٤٩٣)، ومثال ذلك ما ذكره المسعودي في الأساس الذي اتخذته لدراسته فقال في كتابه مروج الذهب: "إننا نعتذر من تقصير إن كان، ونتصل من إغفال إن عرض؛ لما قد شاب خاطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الأسفار وقطع القفار تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعملين بدائع الأمم بالمشاهدة، عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة" (المسعودي، ١٩٨٢م، ص ١٨). وهو يعيب على غيره اعتماده على السماع دون المشاهدة؛ وتعد تلك الوسيلة أهم أدوات البحث العلمي في الوقت المعاصر.

٤) اعتمد العلماء المسلمون في دراساتهم على العمل الميداني، فكانت أسفارهم الطويلة سواء أكانت في البر أم البحر هي عدتهم التي تمدهم بما يكتبون، كما يعد البعض رحلات العلماء المسلمين وهي كثيرة بمثابة الدراسة الميدانية من ناحية، وتقابل الكشوف الجغرافية الأوربية في العصر الحديث من ناحية أخرى. وجدير بالذكر أن رحلات المسلمين أضافت الكثير من الحقائق الجغرافية لجهات غير معروفة للأوروبيين أنفسهم، خاصة في المناطق الشمالية من أوروبا وآسيا وفي أواسط أفريقيا والعديد من الجزر في البحار والمحيطات، وهذه الاكتشافات في الجغرافية استند إليها الأوروبيون بشكل كبير معترفين بها في كتاباتهم الإقليمية في العصر الحديث.

٥) الاعتماد على الدراسات السابقة سواء من المعاصرين لهم أو ممن سبقوهم كأحد مصادر الدراسة في كتاباتهم الجغرافية، وذلك بعد تناول تلك المعلومات بالمقارنة بغيرها والتدقيق والتمحيص بما علم من التجار والجوالين في

أصقاع الأرض (الصيد، ١٩٨٤م، ص ٤٩٥). وكان من منهج علماء المسلمين الأمانة في النقل؛ فكثيراً ما أشاروا إلى الكتب التي نقلوا عنها أو نقد ما ورد بها، وكانت تلك الأمانة العلمية هي التي عرفتنا بكثير من المصنفات التي فقدت مع ما فقد من هذا التراث العلمي العظيم (المرجع السابق، ص ٤٩٧).

٦) الاستفادة من العلوم الأخرى، فيرى ابن حوقل أن الجغرافيا علم تركيبى؛ فالجغرافيا عنده علم يربط بين الفروع المتخصصة في العلوم البيئية الأربعة وهي (النبات، والفيزياء، والجيولوجيا، والفلك) والإنسان وعلومه البشرية أو الإنسانية وهي (التاريخ، والانثروبولوجيا (علم الإنسان)، والاجتماع، والجغرافية الاقتصادية) (غلاب، ١٩٨٤م، ص ١٥١).

٧) الالتزام بالموضوعية في العرض سواء كانت المعلومات خاصة بدار الإسلام (وصف مصر للمقدسي في مصنفه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ص ١٩٣-٢١٥) أو خارج أرض الإسلام مثل دراسة الزنج للمسعودي في مصنفه مروج الذهب ومعادن الجواهر (كامل، ١٩٨٤م، ص ص ٣٩٨-٣٩٩). ومن أفضل الكتابات في الجغرافية الإقليمية خارج بلاد الإسلام ما كتبه أبو الريحان البيروني عن الهند الذي يعد أهم المؤلفات في تاريخ الثقافة الإسلامية بل والعالمية (ق ٥ - ١١م)، والإدريسي عن أوروبا كأفضل مصنف إقليمي عن أقطار شمال البحر الأبيض المتوسط (ق ٦-١٢م) (وهيبة ١٩٨٤م، ص ٤١٨).

٨) تعتمد الجغرافية الحديثة في دراساتها على الأخذ بمبدأ التصنيف الإقليمي الذي يهدف إلى التمييز بين المناطق الكبرى في العالم ككل أو تمييز مناطق صغيرة ضمن أجزاء كبيرة من العالم، وإذا كان الجغرافيون العرب والمسلمون لم يأخذوا بمبدأ التصنيف الإقليمي كما فهمه الجغرافيون المحدثون - والذين يختلفون فيما بينهم في طريقة فهمهم لفكرة الإقليمية حتى الآن - ويمكن التأكيد بأن الجغرافيين المسلمين الكبار قد دانوا بمبدأ التصنيف الإقليمي للمناطق التي يدرسونها بل

والتزموا بهذا المبدأ في دراساتهم. وأفضل من اتخذ هذا الاتجاه الاصطخري وابن حوقل والمقدسي (خصباك، ١٩٨٤م، ص ص ١٦٥-١٦٦).

(٩) حُسِّن المنهج الإقليمي بالأساليب الأدبية الرصينة، حيث جاءت كتابات المصنفات الجغرافية الإسلامية وهذا أعطاها مذاقاً يثير المتعة لدى المتلقي، ونهج عدد من الجغرافيين المحدثين هذا الأسلوب الكتابي من أمثال محمد عوض محمد، وجمال حمدان.

وعن مواضع الريادة العلمية للجغرافية البشرية عند المسلمين يمكن إيراد بعض النماذج من كتاباتهم في الفروع الرئيسة:

٢-٢-١ جغرافية العمران

اتسع الاهتمام بدراسة المدن حتى أن بعض علماء المسلمين قد أورده في مقدمة مصنفه، فمثلاً ذكر القزويني الحاجة الداعية إلى إحداث المدن والقرى بقوله: "إن الإنسان لا يمكنه أن يعيش وحيداً كسائر الحيوانات وإنما لابد من الاجتماع الذي تحصل به المصلحة بين الأفراد في القيام بالمصالح الخاصة والعامة. ثم يذكر أن الهيئة الاجتماعية لو اجتمعوا في صحراء لتأذوا بالحر والبرد والمطر والريح، ولو تستروا بالخيام لم يأمنوا مكر اللصوص، ولو اقتصروا على الحيطان والأبواب كما في القرى التي لا سور لها لم يأمنوا صولة ذي البأس، فألهمهم الله اتخاذ السور والخندق والفيصل فحدثت المدن والأمصار والقرى والديار. ثم إن الملوك الماضية لما أرادوا بناء المدن أخذوا آراء الحكماء في ذلك، فالحكماء اختاروا أفضل ناحية في البلاد وأفضل مكان في الناحية؛ لأنها تفيد صحة أبدان أهلها وحسن أمزجتها، واحترزوا من الآجام والجزائر وأعماق الأرض فإنها تورث كرباً وهرماً" (القزويني، ب.ت، ص ٨).

وأخذت دراسات جغرافية المدن في المصنفات الإسلامية اتجاهين أحدهما

وصفي والآخر تحليلي ويمكن تتبع هذه الاتجاهات لمعرفة الإضافات العلمية التي أضافتها إلى هذا التخصص:

(١) الدراسات الوصفية: كان من أهم أهداف الجغرافيين الإقليميين والرحالين وصف المدن بدقة، مركزة بذلك على تاريخها وأجوائها وسكانها وأهم منتجاتها وتعاملاتها التجارية مع الآخرين. وتتمثل الدراسات الإقليمية في كتب المسالك والممالك ومن الأمثلة على ذلك:

(أ) أورد ابن حوقل في مصنفه (صورة الأرض) وصفاً للمدن التي استعرضها في دراسته للأقاليم. فقد وصف عدداً من المدن تأخذ أمثلة منها وصف ابن حوقل الفسطاط بقوله "الفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد، ومقدارها نحو فرسخ على نهاية العمارة والخصب والطيبة واللذة، ذات رحاب في محالها وأسواق عظام ومتاجر فخام، وممالك جسام إلى ظاهر أنيق وهواء رقيق وبساتين نضرة ومنتزهات على مر الأيام خضرة، وفيها خمسة مساجد وحمامان غير فرن الخبز عجین أهلها. ومعظم بنيانهم بالطوب وأكثر سفلى دورهم غير مسكون. وبها مسجدان لصلاة الجمعة" (ابن حوقل، ١٩٧٩م، ص ١٣٧). ويتضح من الوصف التركيز على عدد سكان المدينة وتقدير مساحتها، مع إيراد لخصائص أسواقها وإبراز لبعض المرافق والخدمات.

ومن الأمثلة المختصرة في وصف المدن ما ذكره في وصف مدينة الطائف بقوله "والطائف مدينة صغيرة كثيرة الشجر والثمر، وأكثر ثمارها الزيت وهي طيبة الهواء، وفواكه مكة وبقولها منها وهي على ظهر جبل غزوان، وبغزوان ديار بني سعد وسائر قبائل هذيل، وليس بالحجاز فيما علمته مكان أبرد من رأس هذا الجبل، ولذلك اعتدل هواء الطائف" (ابن حوقل، ١٩٧٩م، ص ٣٩). وهو بهذا الوصف يؤكد أثر الموضع الجغرافي على مناخ المدينة، كما أنه أعطى بياناً لتوزيع القبائل وارتباط استقرارها بالمدن.

ب) امتازت الكتب البلدانية المتخصصة بدقة الوصف مع إقران الوصف بالصورة، ومن ذلك ما سطره ابن المجاور في مصنفه (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) بوصفه لمدينة جدة بقوله "هي مدينة صغيرة على ساحل البحر وهي فرضة مكة، وليس يمكن بها السكون (السكنى) لازدحام الخلق بها في أيام موسم الحاج لأنه يلتام إليها من جميع أطراف بلاد العالم وإذا قل الماء على أهلها نقلوه من القرنين ما بين مكة وجدة" (ابن المجاور، ١٩٥١م، ص ٥١).

أما مصنفات الرحّالين فقد اعتنت بوصف المدن، ويمكن أخذ مثال على وصف إحدى مدن الشام (حماة) في مصنف ابن بطوطة المسمى برحلة ابن بطوطة أو تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار بقوله عنها "إحدى أمهات الشام الرفيعة، ومدائنها البديعة، ذات الحسن الرائق، والجمال الفائق، تحف بها البساتين والجنان، عليها النواعير كالأفلاك الدائرات، يشقها النهر العظيم المسمى بالعاصي. ولها ربض سمي بالمنصورة، وفيها الأسواق الحافلة والحمامات الحسان" (ابن بطوطة، ب.ت، ص ٥١).

٢) دراسات اقترنت بالتعليل: اتصفت دراسة ابن خلدون بهذا النمط، على الرغم من وجود أعلام جغرافية أخرى سبقت ابن خلدون في هذا المضمار، ولكن ليس بنفس الشمول والتطبيق (الشامي، ١٩٨٨م، ص ١٨١)^(١) فالمقدمة لا تولي وصف المدن القدر الذي تحاول فيه تحديد العوامل المقترنة بظروف مواقعها ونموها وأحجامها، مع تحديد لتعريف المدينة.

أ) ظروف الموقع: بلغ عدد المدن التي أنشأها المسلمون خارج الجزيرة العربية ما يزيد على مائتي مدينة خلال حكم الخلفاء الراشدين وفي عهد الأمويين

(١) هناك اختلاف حول ما إذا كان ابن خلدون مسبقاً بدراسة ظروف المدن أم لا، وإن اشترك ابن خلدون مع علماء سابقين له حول أساسيات الوضع الطبيعي للمدن يمكن أن يكون مما يتكرر فيه القول ويتمثل أو يتشابه دون أن تكون هناك صلة النقل المباشر (الشامي، ١٩٨٨م، ص ١٦٧).

والعباسيين (فاعور، ١٩٨١م، ص ١٠٨). ويعطي هذا الرقم أهمية دراسة المواقع بشكل دقيق لتحديد المزايا التي يتمتع بها والعيوب التي ترتبط به. ومن هذا المنطلق خصص ابن خلدون لهذا الأمر فصلاً فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث إذا غفل عن تلك المراعاة في جانبين:

(١) دفع المضار: ويكون ببناء أسوار للمدن، مع الحرص على الموضع الذي تحصل به المنعة الطبيعية ويقول في هذا "وأن يكون وضع ذلك في ممتنع من الأمكنة إما على هضبة متوعدة من الجبل وإما باستدارة بحر أو نهر بها حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها من العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها" (ابن خلدون، ب.ت، ص ٢٧٦).

ومن القضايا التي أخذت في دفع المضار السلامة من الأمراض بأن يكون الموقع طيب الهواء بعيداً عن الراكد من الماء لما قد يسببه ركود الماء من انتشار الآفات وما يصاحبه من تفشى الأمراض. وأعطى ابن خلدون أمثلة لبعض المواضع السيئة التي لم تختار بعناية مثل مدينة قابس بالمغرب.

(٢) جلب المنافع: ويراعى فيها توفر الماء بأن تكون المدينة على نهر جار أو بالقرب من عيون عذبة، كما يشترط لمثالية الموقع طيب المرعى للسائمة وقربه لما يترتب على بعده حصول المشقة، ويراعى أيضاً توافر المزارع التي يتحصل بها قوت الناس. ويرى في اختيار المدن الساحلية الحصانة الطبيعية والبشرية فقد ذكر أن "مما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون بين أمة من الأمم موفورة العدد، والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة للبيات وسهل طروقها في الأساطيل البحرية" (ابن خلدون، ب.ت، ص ٢٧٧).

(ب) نمو المدن: يخضع نمو المدن إلى مقومات تدفع به أو إلى معوقات تحد منه، وهذه صفات الموقع المثالي الذي أشار إليه المحدثون من الجغرافيين الذي يحقق أعلى قدر من الحماية وأدنى قدر من الأخطار. ولقد أورد ابن خلدون في الفصل الرابع من الكتاب الأول أن المدن عند نشأتها يمكن أن تنمو بتوجيه من الدولة رغبة منها في اجتماع الأيدي وهو بهذا يقول "فلا بد من تمصير الأمصار واختطاط المدن من الدولة والملك ثم إذا بنيت المدينة وكمل تشييدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الأحوال السماوية والأرضية فيها فعمر الدولة حينئذ عمر لها فإن كان عمر الدولة قصيراً وقف الحال بها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخربت وإن كان أمد الدولة طويلاً ومدتها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تشاد والمنازل الرحيبة تكثر وتتعدد ونطاق الأسواق يتباعد وينفسح إلى أن تتسع الخطة وتبعد المسافة وينفسح ذراع المساحة كما وقع ببغداد وأمثالها" (ابن خلدون، ب.ت، ص ٢٧٢).

وتجاوز ابن خلدون بتلك الأفكار الرصينة البحث في المصادر التي استعملها، حيث أن رجوعه إلى المصادر لم يكن بغرض المعرفة وحسب بل تجاوز ذلك بالاستفادة من هذه المعارف في التوظيف النظري، حيث يعد القراءة في المصادر وإجراء المقارنات أساس في التنظير الجغرافي (الجخيدب، ١٤٢٣هـ، ص ٧).

(ج) تصنيف المدن وتدرجها: أخذ المسلمون بمسألة اختلاف المدن في أحجامها، وهذا أوجد مصطلحات تختص بهذا الاختلاف فهناك البلدة والبلد والبلد. وتم ربط أحجام المدن بالأسواق فمثلاً أوضح ابن خلدون أنه متى ما كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل وأن المصر الكثير العمران يختص بالغلاء في حاجاته وأسعار حاجته. وقد بين الجغرافيون المسلمون تدرج المدن استناداً إلى معايير مختلفة. يقول المقدسي "اعلم أنا جعلنا الأمصار كالمملوك، والقصبات

كالحجاب، والمدن كالجند، والقرى كالرجالة " (المقدس، ١٤٠٨هـ، ص ٥٤). وأعطى المنيس صورة للسلمات الواجب توافرها لتعريف المدينة عند المهتمين بدراسة المدن في العصور الإسلامية تركز على:

(١) أن يكون بلداً جامعاً مع وجود سلطة قائمة عليه.

(٢) أن تقام فيه الحدود.

(٣) أن يقوم بنفخته وبجمع رستاقه. (المنيس، ١٤١٠هـ، ص ٢٣).

وعلى تلك المفاهيم العلمية يعلق أحد الجغرافيين المعاصرين بقوله "إذا كانت الدلالة الاصطلاحية للموقع Situation والموضع Site ترتبط بجهود راتزل، إلا إن الإطار المفهومي يرجع إلى عدة قرون خلت من تاريخ الفكر الإنساني، وكان المسلمون سباقين إلى التمييز بين المفهومين وبأسلوب تجاوز الجوانب النظرية إلى الجوانب العلمية، فمثلاً عنوا بالأعمال الإجرائية التي سبقت إنشاء العديد من المدن على رقعة امتداد الدولة العربية الإسلامية " (طعماس، ١٩٩٧م، ص ١٠٢).

٢-٢-٢ الجغرافية الاجتماعية

أخذت الجغرافيا الاجتماعية نصيباً من الحيز العلمي في كتب البلدان، وفي كتب الرحالين، إلا أنها امتازت في مقدمة ابن خلدون بالأصالة بتحديد العوامل المؤدية إلى بعض الصفات الاجتماعية في المجتمعات الحضرية والريفية.

فبالنسبة لكتب البلدان أفرد المقدسي باباً في خصائص الأقاليم ذكر فيه عيوب البلدان مستثنياً من ذلك أهل العلم والأدب وما أورده قوله "ولا أفقر من أهل يشرب، ولا أعف من أهل بيت المقدس، ولا آدب من أهل هراة وبيار" ويقول في موضع آخر "وكل بلد يحيط به أنهار فإن في أهله شغباً وخروجاً" (المقدس، ١٤٠٨هـ، ص ٤٢-٤٣).

أما بالنسبة لكتب الرحالين فقد سرد ابن بطوطة صفات اجتماعية لعدد من المدن والبلدان التي زارها، فهو يقول في وصف سكان مكة "ولأهل مكة الفعال الجميلة، والمكارم التامة، والأخلاق الحسنة، والإيثار للضعفاء والمنقطعين، وحسن الجوار للغرباء، وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس وأكثر لباسهم البياض، فترى ثيابهم أبداً ناصعة ساطعة ويستعملون الطيب كثيراً ويكتحلون، ويكثر السواك بعيدان الأراك الأخضر" (ابن بطوطة، ب.ت، ص ١٠١).

٢-٢-٣ الجغرافية الاقتصادية

يتسع مفهوم الجغرافيا الاقتصادية ليشمل فروعاً متعددة، ويقف على رأس هذه الفروع الجغرافية الزراعية والتجارية والصناعية والتعدينية. ومن المعلوم أن المسلمين عندما استقر بهم المقام عملوا وامتهنوا العديد من الأنشطة حسب المعطيات التي أودعها الله في كل بيئة. ويمكن التعرف على خصائص هذه الأنشطة وتوزيعها في متون الكتب الجغرافية التراثية.

تنتشر حرفة الزراعة في غالب الأقطار الإسلامية، خاصة تلك التي تنعم بجريان المياه الدائمة كالعراق ومصر والسودان وأجزاء من بلاد الشام وفيما بين النهرين. ولأهمية الزراعة وتطورها نقلت التجارب الزراعية إلى بلاد الأندلس وأوروبا خاصة ما يتعلق بالإصلاح الزراعي؛ فما إعمار منطقة شرق وغرب الأندلس بالسكان واستغلالها اقتصادياً وزراعة محاصيل منقولة من الشرق كالأرز والقطن وقصب السكر إلا دليل على ذلك. كما أدخل بربر الشمال إلى أسبانيا طرائق تربية الأغنام الجماعية (لومبارد، ١٩٧٩م، ص ١١٣).

ومما اعتنى به في هذا المجال معرفة الأراضي وتأثيرها في النبات وإلى هذا أشار النقشبندي أن الأرض الطيبة هي الحارة الرطبة، وسواد الأرض دليل على الحرارة، فإن الأرض السوداء تحمل الأمطار أكثر من غيرها، والأرض التي غلب

عليها المرارة (الملوحة) تهلك كل بزر قبل نباته (النقشبندي، ١٤٠١هـ، ص ١٣-١٦).

وفي مجال الجغرافية الصناعية نشأت صناعات عدة في مدن العالم الإسلامي حسب توافر موارد الصناعة ويذكر ابن سعيد المغربي أن تلمسان المغربية تحمل منها ثياب الصوف المفضلة على جنسها المصنوع في سائر بلاد المغرب، وتحمل منها ألبم الخيل والسروج وما يتبع ذلك. والأندلسيون يقولون كأنها من مدن الأندلس لمياها وبساتينها وكثرة صنائعها (المغربي، ١٩٧٠م، ص ١٤٠).

وفي موضع آخر ذكر ابن سعيد المغربي خصوصية الموصل - قاعدة بلاد الجزيرة - بأن فيها صنائع جمّة، ولا سيما أواني النحاس المطعم يحمل منها للملوك، وكذلك ثياب الحرير التي تنسج بها (المغربي، ١٩٧٠، ص ١٥٧).

٢-٢-٤ جغرافية النقل والتجارة

كانت دراسة طرق المواصلات من أهم أهداف الدراسات الإقليمية، فلا يكاد يخلو أي مصنف من تلك المصنفات من ذكر المسالك والدروب التي تربط ممالك الإسلام التي تحتوي على مدن عدة. ويرجع الاهتمام بالطرق وحساب المسافات عليها إلى إيضاح الوقت والجهد المترتب على سلوك طريق دون آخر؛ وهو من الأمور المهمة في التزود للسفر بالزاد والرواحل لا سيما أن رحلة الحج مكلف بها كل مسلم.

وأخذت عمليات الاهتمام بالطرق أولويات خاصة لدى الخلفاء والولاة بتزويدها بموارد مائية متتابعة وتحديدتها بعلامات ثابتة لا سيما في المناطق الصحراوية، واضطلعت الدولة العباسية بمهام إصلاح الطرق وتمهيدها وتسهيل كل ما فيه راحة المسافرين من خلال حفر قلابان المياه وحفظ الأمن فيها وتحديد العلامات لها؛ وما طريق زبيدة إلا شاهد على ذلك، فالمصانع والبرك والآبار التي

من بغداد إلى مكة هي آثار زبيدة ابنة أبي جعفر المنصور زوج هارون الرشيد انتدبت لذلك مدة حياتها، فأبقت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعم ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سلك هذا الطريق (ابن جبير، ب.ت، ص ١٥١).

وشمل هذا الاهتمام ممالك الإسلام فيذكر البكري في وصفه للطريق بين مدينة رشيد إلى الإسكندرية أنه على البر منها تسير نحو ثلاثة أميال إلى الغرب في رمال، ثم تفضي إلى فوهة بحيرة قد دخلت في البر أميالاً كثيرة، فتخوض الدواب الماء فتقطع تلك البحيرة نحو نصف ميل بعلامات قد وضعت في البحيرة، فإن حادت الدابة عن تلك العلامات سقطت في بحر بعيد القعر فهلكت وهلك ما عليها من الملتاع (الغني، ١٤٠٠هـ، ص ٩٧).

وكانت التجارة هي سمة الحياة الاقتصادية في البلاد الإسلامية، وأصبحوا لها رواداً بفضل صدق تعاملاتهم المبنية على قواعد شرعية راسخة، واختلاف المنتجات زراعية كانت أم صناعية فيما بين بيئات الأقطار الإسلامية، فمثلاً إذا كانت أرض مصر خصباً تنتج معظم المحصولات الأساسية فإن الحجاز أرض جدداء يحتاج سكانها إلى مثل هذه المحصولات.

وإن اتساع الدولة الإسلامية، وزيادة خيرات أرضها بتنوع مناخها وتمدن أقاليمها كان داعياً إلى تعاظم المضاربات التجارية، فكانت منتوجات الأندلس والمغرب ومصر والحبشة والجزيرة العربية وفارس وروسيا، ومنتوجات الأقطار المحيطة ببحر قزوين وبضائع الهند والصين تتدفق على مكة والمدينة والكوفة والبصرة ودمشق وبغداد (صفر، ١٤٠٤هـ، ص ٤٧).

٢-٣ الكشف الجغرافية

لم يهمل الجغرافيون المسلمون مسألة البحث وتقصي الحقائق الخاصة بالظواهر الطبيعية والبشرية، مما حفزهم على سبر أصول تلك الظواهر وامتدادها المكاني وانتشارها الجغرافي بما عرف لاحقاً بالكشوف الجغرافية التي

كان لهم فيها قصب السبق. ولصعوبة حصر الاكتشافات التي قام بها جغرافيو المسلمين كان الاستشهاد بنهر النيل.

اكتشاف منابع نهر النيل

ينسب علماء الغرب اكتشاف منابع نهر النيل إلى الانجليزي صمويل بيكر، ولكن المراجع والوثائق الموجودة تعطي الأحقية بذلك للكشف للجغرافي المسلم الشريف الإدريسي قبل بيكر بمئات السنين، وكتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق يقدم الدليل على ذلك، حيث يورد معلومات غاية في الأهمية عن المناطق النائية في قلب القارة الأفريقية، مما يؤكد أنه صاحب هذا الكشف الجغرافي قال الإدريسي ما نصه "وفي الجزء الرابع افتراق النيلين أعني نيل مصر الذي يشق أراضيها وجريه من الجنوب إلى الشمال وأكثر مدن مصر على ضفتيه وعلى جزائره أيضاً. والقسم الثاني من النيل يمر من جهة الشرق إلى أقصى الغرب وعلى هذا القسم من النيل جميع بلاد السودان وأكثرها وهذان القسمان مخرجهما من جبل القمر الذي أوله فوق خط الاستواء بست عشرة درجة وذلك أن مبدأ النيل من هذا الجبل من عشر عيون، فأما الخمسة الأنهار منها فإنها تنصب وتجتمع في بطيحة كبيرة وكذلك الخمسة أنهار الأخرى تنزل من الجبل إلى بطيحة أخرى فيشق بلاد النوبة وبلاد أرض مصر وينقسم من أسفل أرض مصر إلى أربعة أقسام فثلاثة تنصب في البحر الشامي وقسم واحد ينصب في البحيرة الملحة التي تنتهي قرب الإسكندرية. وكتب ابن خلدون في المقدمة حول الموضوع نفسه ما يلي "فأما النيل فمبدؤه من جبل عظيم وراء خط الاستواء بست عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الإقليم الأول ويسمى جبل القمر ولا يعلم في الأرض جبل أعلى منه تخرج منه عيون كثيرة فيصب بعضها في بحيرة هناك وبعضها في أخرى ثم تخرج أنهار من البحيرتين فتصب كلها في بحيرة واحدة عند خط الاستواء على عشر مراحل من الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران

يذهب أحدهما ناحية الشمال على سمتة ويمر ببلاد النوبة ثم مصر فإذا جاوزها تشعب في شعب متقاربة يسمى كل واحد منها خليجاً وتصب كلها في البحر الرومي عند الإسكندرية ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقيه والواحات من غربيه، ويذهب الآخر منعطفاً إلى المغرب ثم يمر على سمتة إلى أن يصب في البحر المحيط وهو نهر السودان وأممهم كلهم على ضفتيه " (صفر، ١٩٨٤م، ص ٣٢-٣٣).

ثالثاً: اهتمامات المستشرقين بكتب التراث الجغرافي العربي الإسلامي

أبدى الكثير من المستشرقين اهتماماً واضحاً بالإرث العلمي الإسلامي في العصور الوسطى، من هذا الإرث المصنفات الجغرافية. وهنا تطرح أسئلة منها: كيف وصلت المخطوطات والمصنفات العربية الإسلامية إلى بلاد الغرب والتي تملأ مكتبات ومتاحف بريطانيا وفرنسا وألمانيا والعديد من الدول الأوروبية الأخرى؟ وأيضاً ما سر الاهتمام الكبير بتحقيق ونشر وترجمة العلوم الإسلامية بما فيها الجغرافية؟ سؤالان مهمان والإجابة عنهما ربما تطول وتزيد من الاستطرادات التي لا مجال لها في هذا البحث.

ويُعرّف الاستشراق كما وصفه إدوارد سعيد بأنه أسلوب غربي هدفه السيطرة على الشرق وامتلاك السيادة عليه، ويرى الفيومي أن المستشرقين لهم اتجاهات فمنهم ذووا التوجه الاستعماري، والتوجه التبشيري، ومنهم الموضوعيون، وإن كانت قليلة تلك الشواهد التي تشهد للاستشراق العلمي بحسن النية، وأن غرض الاستشراق الدراسي للشرق (من أقصاه إلى أدناه) هو رغبته الجامحة في طيه بسياسة الغرب وخدمته لأهداف الاستعمار مما جعلهم يحيطون بدراسته تاريخياً وجغرافياً ودينياً وحضارة وثقافة ونظماً وعرفاً، إضافة إلى سبر مصادره الطبيعية (عبد الجواد، ٢٠٠٢م، ص ١٣).

وعكف المستشرقون على النشر والترجمة والتحقيق للمصنفات العلمية والمخطوطات الإسلامية - سواءً كان ذلك بحسن أو سوء نية - من أجل تطوير ونهضة العلم خدمة للبشرية أو لخدمة الاستعمار والسيطرة على تلك المناطق في ظل الضعف الذي انتاب الخلافة العثمانية في سنها الأخيرة. وخلاصة ذلك أن جهود المسلمين - في العصور الوسطى - في ميدان الجغرافية قد اعتني بها ونالت حظها من الدراسة من قبل الغرب على أيدي المستشرقين ونفر من دارسي الفلك والرياضيات (نفيس، ١٩٧٨م، ص ٢٧)

٣-١ النشر والتحقيق والترجمة :

٣-١-١ الفترة الأولى (القرن ١٦ - القرن ١٨ الميلادي) :

إن أول ما حظي بالنشر مصنف الإدريسي، طبع بمطبعة المديتشي بإيطاليا عام ١٥٩٢م (هاشم، ١٩٨٤م، ص ٨). كما ترجم مصنف "وصف الأرض" للحسن الزياتي المعروف بالحسن الوزان إلى الإيطالية عام ١٥٥٠م على يد راموزيو (٩٥٧هـ) في مدينة البندقية، وذلك بعد فراغ الوزان من تأليفه بمدة لا تزيد عن ٢٤ عاماً (حميدة، ١٩٨٠م، ص ٤٩٧). وفي الربع الأخير من القرن السابع عشر الميلادي ظهر أول مصنف في الجغرافية الفلكية وهو زيج الفرغاني الذي نشره المستشرق الهولندي ياكوب غوليس Jacob Golius مع ترجمة لا تينية عام ١٦٦٩م (هاشم، ١٩٨٤م، ص ٨).

أما في القرن الثامن عشر فلم يركز العالم الأوربي إلا على ثلاثة مؤلفين هم: أبو الفداء، وابن الوردى، وعبد اللطيف البغدادي (المرجع السابق، ص ٨). وهكذا نرى أن عملية التحقيق والترجمة والنشر خلال القرون الثلاثة المذكورة كانت محدودة ومتباطئة ولم تتسم بالعمق العلمي الذي يمكن الغرب من الاستفادة من العلوم الإسلامية في العصور الوسطى.

٣-١-٢ فترة القرن التاسع عشر الميلادي (القرن ١٩م)

تميز القرن التاسع عشر بنشاط علمي من قبل الأوروبيين، ونالت علوم المسلمين الجغرافية قسطاً وافراً من قبل المستشرقين سواءً بالنشر أو التحقيق أو الترجمة، ويمكن إبراز ما تم إنجازه فيما يلي:

(١) ظهر في بداية القرن التاسع عشر الميلادي بحثان متميزان في دراسة الأدب الجغرافي العربي لا يزالان إلى اليوم يحتفظان بمكانتهما وقيمتهما العلمية أحدهما ترجمة "وصف مصر لعبد اللطيف البغدادي" للمستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي S.de sacy (١٨١٠م) والآخر ترجمة المستشرق الروسي فرين Frahn لرسالة ابن فضلان (١٨٢٣م) (المرجع السابق، ص ٩).

(٢) قام المستشرق الفرنسي رينو Reinaud بكتابة (مقدمة في الجغرافية العربية) وقد أراد به في الأصل التقديم لنشرة علمية لمصنف أبي الفداء "تقويم البلدان" ولكن ما لبث البحث أن تحول إلى موسوعة في تطور علم الجغرافية وأدبها في أكثر من ٤٥٠ صفحة تكشف عن معرفة المؤلف الجيدة بالجغرافية الوصفية والفلكية، ومن الغريب أن هذا المصنف لم ينقل إلى العربية حتى الآن (المرجع السابق، ص ٩٠).

(٣) قام فرديناند وستنفلد F. Wusten Feld عام ١٨٤٩م بنشر مصنف (آثار البلاد وأخبار العباد) للقزويني الذي ألفه (٦٧٤هـ-١٢٧٥م) (حميدة، ١٩٨٠م، ص ٦٩)، وأيضاً نشر المعجم الجغرافي لياقوت الحموي في ستة أجزاء خلال الفترة (١٨٦٦-١٨٧٦م)، ولا تزال تلك الطبعة تتمتع بالتقدير بالرغم من مرور أكثر من قرن من الزمن على تاريخ ظهورها (هاشم، ١٩٨٤م، ص ٩).

(٤) نشر المستشرق الفرنسي سالفردا دوغراف Salverda de Grave في ليدن سنة ١٨٥٦م كتاب "الجبال والأمكنة والمياه" للزمخشري المتوفى (٥٣٨هـ - ١١٤٣م) (حميدة، ١٩٨٠م، ص ٦٨).

٥) عني المستشرق باربيه دي مينا بنقل مصنف التنبيه والإشراف للمسعودي إلى اللغة الفرنسية، وطبع في باريس سنة ١٨٧٢م في تسعة أجزاء (المسعودي، ب.ت، ص ز)، وأيضاً نقل كتاب المسعودي "مروج الذهب" إلى الفرنسية بين سنتي ١٨٦١-١٨٧٧م في تسعة مجلدات، كما نقله إلى الإنجليزية اشبرنجر Springer (خضر، ١٩٨٣م، ص ١٦٢).

٦) كانت العلامة البارزة في نهاية القرن التاسع عشر للهولندي دي خويه De Goeje حيث بدأ بنشر سلسلة "مكتبة الجغرافيين العرب" منذ عام ١٧٨٠م واكمل عقدها بظهور الجزء الثامن عام ١٨٩٤م، وهي تتكون من تسعة مجلدات يحتوي أحدها على التعليقات واختلاف القراءات، أما الثمانية الأخرى فتضم بين صفحاتها مصنفات مؤلفي عهد ازدهار الأدب الجغرافي العربي في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (هاشم، ١٩٨٤م، ص ٩). وقد ذيلها دي خويه بملاحظات كثيرة واقتصر على النافع منها، وهو يذكر في مقدمته أن المستشرق ساكي كان قد علق عليها وراجعها قبل ذلك في عام ١٨١٠م (المسعودي، ب.ت، ص ج). ويرى بعض الجغرافيين المعاصرين أن دي خويه أحد ثلاثة من المستشرقين الذين أدوا أعظم خدمة للتراث الجغرافي الإسلامي في العصر الحديث والإثنان الآخران هما الألماني مولر Muller والروسي كراتشكوفسكي Krachkovski (خصباك، ١٩٨٤م، ص ١٦١).

٣-١-٣ القرن العشرون الميلادي

تميزت الكتابات في القرن العشرين بالنضج سواء فيما تم نشره من التراث الجغرافي العربي الإسلامي من قبل المستشرقين والتعليق عليه، أو في الكتابات الخاصة التي توضح مكانة العلم الجغرافي وعلماء المسلمين والتي تعددت ولا مجال لحصرها وإنما التمثيل بأهمها:

(١) نشر المستشرق والمؤرخ الروسي بارثولد V.V. Barthold طبعة مصورة للمخطوطة الفريدة للمصنف الفارسي المجهول المؤلف "حدود العالم" عام ١٩٣٠م، ثم ترجمه إلى الإنجليزية مع تزويد ترجمته بتعليقات ضافية مينورسكي Minorsky (هاشم، ١٩٨٤م، ص ١٠).

(٢) نشر بعض الزيجات الإسلامية (الجداول الفلكية) والتي توجد مخطوطاتها في عدد كبير من المكتبات بأوروبا والعالم الإسلامي، حيث نشر المستشرق الايطالي كارلو ألفونسو نالينو C.A. Nallino "الزيج الصائب" للبتاني فخرج في ثلاثة أجزاء ضخمة بميلانو عام (١٨٩٩-١٩٠٧م) مزوداً بترجمة لاتينية وتعليقات وافية (هاشم، ١٩٨٤م، ص ١١).

(٣) استطاع المستشرق الألماني كونراد ميللر Konrad Miller (١٨٤٤-١٩٣٣م) جمع ٢٧٥ خريطة من الخرائط العربية القديمة ونشرها في مجلد واحد أطلق عليه الخرائط العربية ووصف هذه الخرائط بأنها أطلس الإسلام Mappa Arabica (محمد بن، ١٩٩٦م، ص ٢١٠)، مع إعطاء أهمية خاصة لخارطة الإدريسي.

(٤) كتب إغناطيوس يوليانونوفتش كراتشكوفسكي المستشرق الروسي دراسة قيمة عن الجغرافية العربية والجغرافيين العرب والمسلمين تحت عنوان "تاريخ الأدب الجغرافي العربي" نقله من الروسية إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم سنة ١٩٦١م في مجلدين تجاوزت صفحاتهما السبعمائة من القطع الكبير، وظهرت للكتاب طبعة ثانية في مجلد واحد عام ١٩٨٧م، بالإضافة إلى بعض الكتب التي ترجمت إلى العربية. وخلاصة ذلك أن هؤلاء وغيرهم ممن لم ترد أسماؤهم من المستشرقين والمعاصرين من علماء الغرب الموضوعيين أعانوا على كشف الجوانب المضيئة في ميدان علم الجغرافيا مما قدمه المسلمون في سبيل تقدم الفكر الجغرافي والمعرفة الجغرافية، كما أن لذلك دلالة واضحة على أهمية التراث الجغرافي الإسلامي في تطور جغرافية الغرب المعاصرة.

٣-٢ صور من مكانة علماء الجغرافيا المسلمين العلمية عند الغرب

أنصف بعض المستشرقين وبعض جغرافي الغرب علماء المسلمين سواءً في الجغرافية أو العلوم الأخرى، وذلك لموضوعيتهم. بينما تجاهل الكثير فضل علماء المسلمين في العصور الوسطى، ونورد الأمثلة التي أعطت المكانة اللائقة للمسلمين من مقولة (وشهد شاهد من أهلها):

٣-٢-١ الهمداني (٢٨٠-٣٦٠هـ)

نال مصنفه "صفة جزيرة العرب" الكثير من الاهتمام من قبل المستشرقين وقد عني بدراسته شبرنجر Sprenger وعده أقيم ما أنتجه العرب في الجغرافية مع كتاب المقدسي "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، ويقول المستشرق الروسي كراتشكوفسكي في تاريخ الأدب العربي الجغرافي "لقد تملك الهمداني ناصية المادة الأدبية بأكملها، ولم تكن مقدرته في الملاحظة المباشرة بأقل من ذلك في شيء، ولا يزال مصنفه محتفظاً إلى أيامنا بقيمته العلمية (كراتشكوفسكي، ١٩٨٧م، ص ١٨٧-١٨٩). كما حلله أندريه ميكيل حديثاً بقوله "وهكذا تخلت صفة جزيرة العرب عن التاريخ والأدب معاً، فأصبحت صفة مساكن الجزيرة ومسالكتها ومياها وجبالها ومراعيها وأوديتها" (خوري، ١٩٩٣م، ص ٤٤-٤٥)، كما وصف المستشرق السويدي المعاصر كريستوفر لي مصنف الهمداني بأنه يعادل من القيمة المؤلفات الجغرافية لياقوت والبكري (باشا، ١٩٩٧م، ص ٩٧).

٣-٢-٢ المقدسي (٣٣٥-٣٩٠هـ)

يعد من كبار الجغرافيين الذين عرفهم الغرب وأشادوا بأعماله؛ فقد عده المستشرق شبرنجر أكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبة، كما يرى كرامرس Kramers أن المقدسي أكثر الجغرافيين العرب أصالة، وأن كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" أكثر المصنفات الجغرافية في الأدب العربي قيمة" (محمدين، ١٩٨٤م، ص ٣٤٦). كما أضاف اشبرنجر قائلاً "لم يتجول سائح في البلاد كما تجول

المقدسي، ولم يحسن أحد ترتيب عمله مثله»، وقال المستشرق ميستر Cild Meister «امتاز المقدسي عن سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة اطلاعه» (العقيلي، ١٩٨٤م، ص ٣٣١).

ويسجل كراتشكوفسكي ملاحظاته عنه بقوله "إن شخصية المقدسي لتختتم بجدارة المدرسة الكلاسيكية للجغرافية العربية وسلسلة الجغرافيين الكبار للقرن العاشر الميلادي.. ولكن من غير المستطاع أن يغمطه إنسان نصيبه من الفهم والذكاء وألا يعترف له بالأصالة والطرافة وقوة الملاحظة، لذا فيجب الاتفاق مع كل من اشبرنجر وكرامرس في عده جغرافياً عظيماً وواحداً من كبار الكتاب العرب قاطبة" (الدفاع، ١٩٩٣م، ص ١٤٤).

٣-٢-٣ البيروني (٣٦٢-٤٤٠هـ)

اهتم المستشرق الفرنسي جاك بوالو بالبيروني وقال عنه أنه من أعظم علماء الإسلام في العصر الوسيط ولعله أكثرهم أصالة وعمقاً وكرس جهده لسنوات عديدة لدراسة البيروني وكتب عنه كتابه "أعمال البيروني: نبذة ببلوغرافية" (خضر، ١٩٨٣م، ص ١٠٨). وقال عنه العالم الألماني سخاو Sachau الذي درس مؤلفاته، خاصة كتاب الهند أنه يعتبر بحق أعظم العلماء في التاريخ (نفيس، ١٩٧٨م، ص ٧٩). وأطلق جورج سارتون Sarton على النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي اسم "عصر البيروني" في كتابه (تاريخ العلم) (محمددين، ١٩٩٦م، ص ١٥٦) دلالة على شخصيته العلمية الفذة وعطاءه العلمي الغزير وإنجازاته المتميزة في الفلك والجغرافيا.

٣-٢-٤ الإدريسي (٤٩٣-٥٦٠هـ)

أطلق المفكرون الأوربيون عليه اسم "استرابون العرب" ^(١) (الحريري،

(١) سترابون: جغرافي يوناني ولد في أماسيا في آسيا الصغرى حوالي عام ٥٨ ق.م، وتوفي عام ٢١ أو ٢٥م، وهو مؤلف كتاب جغرافيا الذي عالج فيه الظواهر البشرية.

١٩٨٥م، ص ٧٣). وأطلقت مدرسة الجغرافية بجامعة كلارك أحد معاقل الجغرافيا بالشمال الأمريكي اسم الإدريسي Idrisi على أحد برمجياتها الشهيرة والمتداولة تسويقاً عالمياً في مجال نظم المعلومات الجغرافية أحدث فروع الجغرافية، وأشارت في أدلة البرنامج أن هذا اعتراف منها بجميل وفضل هذا الجغرافي والكارتوجرافي العربي المسلم الفذ الأصيل (عبدالجواد، ٢٠٠٢م، ص ٢٣).

ويعتبر كراتشكوفسكي في كتابه (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) "أطلس الإسلام" أهم أثر للكارتوغرافيا العربية، بل لعله أهم أثر للكارتوغرافيا في العصور الوسطى بأجمعها (كراتشكوفسكي، ١٩٨٧م، ص ٩٠). حيث يمثل القمة التي بلغها المسلمون في رسم الخرائط، كما أفرد ميللر أهمية خاصة لخرائط الإدريسي بقوله "بأنها تمثل مدرسة جغرافية خاصة ذات أثر في تصوير الدنيا للأوروبيين، كما جاء في دائرة المعارف الفرنسية أن مصنف الإدريسي هو أوفى كتاب جغرافي تركه لنا العرب وأن ما يحتويه من تحديد للمسافات والوصف الدقيق يجعله أعظم وثيقة علمية جغرافية (باشا، ١٩٩٧م، ص ص ٩٥-٩٩).

وأخيراً فما سبق يعد غيضاً من فيض في هذا المجال، ويمكن اختتامه بالتقريب العام من بعض كتاب الغرب ويستشهد في هذا المقام بالتالي:

(١) يبين جوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" دور المسلمين في إثراء الفكر الجغرافي الأوربي والعالمي بقوله "يكفي أن نشير إلى ما حققه العرب في الجغرافيا لإثبات قيمتهم العالية، فالعرب هم الذين عينوا بمعارفهم الفلكية مواقع الأماكن تعييناً مضبوطاً في الخرائط فصححوا أغاليط علماء اليونان، والعرب المسلمون هم الذين نشروا رحلاتهم الممتعة عن بقاع العالم التي يشك الأوروبيون في وجودها، والعرب هم الذين وضعوا الكتب الجغرافية التي جاءت ناسخة لما تقدمها فاقصرت أمم الغرب عليها وحدها قروناً كثيرة (خضر، ١٩٨٣، ص ١٦١).

ويشير المستشرق الدوميلي Aldomieli في كتابه (العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي) إلى تقدم الجغرافية عند العرب بقوله "يقدم الأدب الجغرافي العربي في العصر العباسي وفرة وتنوعاً غير مألوفين بحيث يتعذر سرد أسماء الجغرافيين، هذه الوفرة في النتاج الجغرافي تعكس صورة واضحة للنزعة القوية عند المسلمين في التنقل والترحال، وتكشف عن ملكة التطلع القوية عندهم إلى جمع المعلومات عن الأفطار التي دخلت في كنف الإسلام، وقد استرعت الجغرافية الرياضية مع تطبيقاتها المتصلة برسم الخرائط أنظار علماء الإسلام في نفس الوقت" (يوسف، ٢٠٠٢م، ص ٣٧).

رابعاً: التراث الجغرافي الإسلامي في كتابات المعاصرين العرب

تهاون الكثير من جغرافي العالم الإسلامي المعاصرين في البحث والتنقيب وإحياء تراث أجدادهم المسلمين الأوائل في الجغرافيا، والذي اتضحت قيمته وأهميته من خلال الباحثين السابقين، وسبق المستشرقون في سبر أغوار الكنوز الإسلامية في شتى فروع المعرفة والتي منها الجغرافية، لكي تكون اللبنة الأولى لهم في بناء صرحهم العلمي الشامخ الذي نراه الآن ونقف نحن متفرجين عليه، وهم يتباهون به وينسبون معظمه إلى أنفسهم وأقله إلى أهله.

والمسلمون في العصر الحديث - حتى في ظل الصحوة العلمية في النصف الثاني من القرن العشرين وبعد أن تحررت الدول من هيمنة الاستعمار - ما زالوا يحاكون المدارس الغربية وينهلون مما في أيدهم من العلم وهو علم أجدادهم وهم أحق به منهم ولكنهم أخذوا بالمنهج العلمي فوصلوا بينما اعتنق المسلمون التقليد الأعمى في معظم الأحيان فوقفوا، ولذلك أسباب كثيرة لا سعة لذكرها في هذا البحث.

وفي ظل هذا التجاهل من قبل المعاصرين وهذه النبرة المتشائمة تلوح في

الأفق علامات مضيئة مبشرة بالخير من بعض أبناء هذا العصر ولكنها قليلة إذا ما قورنت بالكم الهائل من المتخصصين في الجغرافيا على مستوى العالم الإسلامي، فقد حمل عبء البحث والتحقيق والترجمة لإحياء التراث الجغرافي الإسلامي مجموعة من المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية المدافعين عن تراثها.

وقد اتخذ الاهتمام بالتراث الجغرافي الإسلامي ثلاثة محاور أولها: تحقيق المخطوطات بعد جمعها من مكتبات بلدان أوروبا وبعض بلدان العالم الإسلامي أو تصويرها والتعليق عليها بما يناسب هذا العصر من شروح لمعانيها الجغرافية ومفرداتها اللغوية التي اندثر استعمالها، وثانيها: الكتابة عن رواد الجغرافية الإسلامية ومصنفاتهم وأهمية هذه المصنفات من وجهة نظر الجغرافية الحديثة لإثبات حق الملكية العلمية للمسلمين في كثير من القضايا التي سلبت منهم بواسطة علماء الغرب ونسبوا إليهم، وثالثها: ترجمة ما كتبه المستشرقون عن الجغرافية الإسلامية وعلمائها في العصور الوسطى وتصحيح أغاليط البعض منهم عن سوء أو حسن نية ونشر ذلك عالمياً، وأيضاً ترجمة ما كتبه المسلمون المعاصرون ولكن بلغات غير عربية مثل مسلمي الهند وباكستان وتركيا وإيران.

٤-١ ضالة ما أنتجه المسلمون المعاصرون في محاور التراث الإسلامي

كانت صحوة المسلمين في دراسة التراث الجغرافي الإسلامي في النصف الثاني من القرن العشرين وإن كان ذلك لا يمنع وجود لمحات قليلة في دراسة التراث الجغرافي من قبل البعض قبل هذا التاريخ، وهذا ما سنعرضه في التالي:

٤-١-١ كتابات النصف الأول من القرن العشرين (١٩٠٠-١٩٥٠م)

تتمثل هذه الكتابات بداية في اثنين من غير العرب كرسا جهوداً مضيئة لإبراز تراث المسلمين الجغرافي هما أحمد زكي الوليدي من تركيا وسليمان الندوي من الهند (نفيس، ١٩٧٨م، ص ٢٧). ومن العرب كل من جورج زيدان، وحسين

فوزي، ومحمد ثابت الفندي، إضافة إلى أحمد زكي، وأحمد تيمور، ومحب الدين الخطيب، ومحمد كرد علي، وطاهر الجزائري وهم من الرعيل الأول الذين اضطلعوا بدور رائد لتوضيح جهود أسلافنا من المسلمين في ميدان الجغرافيا، وأيضاً كتاب نفيس أحمد، الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي الذي صدر في كلكتا عام ١٩٤٧م، كما أن لنفيس أحمد أبحاثاً سابقة على هذا الكتاب منها ما يؤرخ لجهود المسلمين في الجغرافية عموماً، ومنها ما يختص بجهودهم في لون جغرافي معين كالجغرافيا الفلكية والرياضية، أو إقليم معين مثل سيلان ومنها دراسة في جغرافية الهند للبيروني (المرجع السابق، ص ٨) انظر الملحق رقم (٢).

كما ظهرت دراسات جغرافية عن "أدب الرحلات" في بيروت لأحمد أبي السعد، وكتاب "أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب" للدكتور صلاح الدين المنجد في ثلاثة أجزاء فيما بين عامي (١٩٥٩-١٩٦٣م). وبالرغم من الجهود الطيبة التي بذلها هؤلاء الغيورون من أبناء الأمة الإسلامية إلا أن معظمهم من غير الجغرافيين الذين هم الأولى بالتحقيق والدراسة في هذا المجال، ولكنها دون شك جهود مشكورة أشعلت جذوة العلم في النصف الأول من القرن العشرين لكي يتواصل بعد ذلك في النصف الثاني من القرن العشرين.

٤-١-٢ التراث الجغرافي في النصف الثاني من القرن العشرين (١٩٥١-٢٠٠٠م)

توضح دراسة الملحق رقم (٢) أن مجموعة من الجغرافيين المسلمين حملوا لواء إحياء تراث أجدادهم وكثير منهم غير جغرافيين، ولكن أخذتهم حمية الدفاع عن إسلامهم وتراث أسلافهم الضائع الذي تعرض للنهب من قبل الغرب وظل كنزاً مدفوناً لا قيمة له. ولا يمكن تفضيل أحد على أحد لكن البعض اتخذ من إحياء التراث الجغرافي الإسلامي منهجاً واضحاً له وخطاً مستقيماً، منهم عبدالله يوسف الغنيم الذي بدأ منذ نعومة أظافره فجاءت رسالة الماجستير والدكتوراه في التراث الجغرافي الإسلامي، ثم كتاباته بدءاً من كتاب مصادر البكري ومنهجه

الجغرافي (١٩٧٤م) وانتهاءً بمؤلفه "المخطوطات الجغرافية العربية في المكتبة البريطانية بمكتبة جامعة كامبردج" والذي صدر عام ١٩٩٩م، حيث بذل فيه جهداً ضخماً. وتصدى عبد الجواد أحد الجغرافيين بالمراجعة النقدية لهذا الكتاب لتوضيح إيجابياته وأهميته على طريق إحياء التراث الإسلامي (عبد الجواد، ٢٠٠٢م).

وشاكر خصباك الذي انتهج منهج الغنيم، حيث أن كتاباته وأبحاثه ترتبط بهذا المجال، حيث كتب أكثر من سبعة مصنفات في التراث الجغرافي الإسلامي بين ترجمة وتحقيق وتأليف. وأيضاً عبدالعال الشامي المتخصص في جغرافية العمران الذي أخذ على عاتقه في مرحلة الماجستير والدكتوراه دراسة بعض جوانب التراث الجغرافي الإسلامي، فضلاً عن كتابه حول جغرافية العمران عند ابن خلدون.

ويأتي في هذا المضممار عبدالفتاح وهيبة بكتاباته الرصينة ونقده الموضوعي لبعض الأعمال في جغرافية المسلمين في العصور الوسطى وإيضاح الإيجابيات والسلبيات فيها ودراسة الأساليب البحثية التي استخدمها جغرافيو المسلمين ودراساتهم الميدانية وأوجه السبق. ويعد عبدالعزيز كامل ممن أدلى بدلوه في مؤلفه جغرافية الإسلام في أفريقيا، وفي بحثه الأرض والإنسان عند الجغرافيين المسلمين. ومن له اهتمام أيضاً إبراهيم شوكت الذي تنوعت كتاباته في التراث الجغرافي الإسلامي بين الجغرافية الفلكية والإقليمية، والأدوات التي استخدموها في قياساتهم وحساباتهم الفلكية.

ويعد حمد الجاسر ومحمد العبودي من الكتاب الذي استحسنوا الكتابات التراثية وحققوا أجزاء كبيرة منها، وأسهم قلة من الجغرافيين المعاصرين في إحياء جوانب من التراث الجغرافي الإسلامي نذكر على سبيل المثال محمد محمود

الصياد، ومحمد محمود محمددين، وإبراهيم خوري، وعبدالرحمن حميدة، ومحمد السيد غلاب، وسليمان حزين، ووليد المنيس، ويوسف طعماس. كما أسهم في ذلك العديد من غير الجغرافيين الذين كان لهم باع في إحياء التراث الجغرافي الإسلامي منهم: علي الدفاع، وعبدالرحمن بدوي، وأحمد فؤاد باشا، وصلاح الدين المنجد. ويضع الغنيم حسين مؤنس في مصاف دي خوية وكراشكوفسكي في هذا المجال (عبدالجواد، ٢٠٠٢، ص ١٤) وغيرهم.

وساهم عدد من الباحثين في نقل بعض الكتابات الغربية والشرقية إلى العربية عن طريق الترجمة مع التحقيق والتعليق على الغامض والمرجوح في المعلومات الواردة فيها، ومن أمثلة هؤلاء الباحثين صلاح الدين هاشم مترجم كتاب تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراشكوفسكي، وعبدالحليم النجار ومحمد يوسف مرسى اللذان ترجما كتاب (العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي) لمؤلفه الدوميلي، وحمزة طاهر مترجم كتاب "تاريخ الحضارة الإسلامية" لبارثولد، وإبراهيم العدوي مترجم كتاب "الحضارة العربية" لهل، وقدرى حافظ طوقان "نشاط العرب العلمي في مائة سنة" وفتحي عثمان في ترجمته لكتاب "الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي" لنفيس أحمد.

وتتلخص قضية الحديث في توجيه الدعوة للمتريدين والمقصرين في حق تراث أجدادهم الجغرافي للاهتمام بالتراث الجغرافي الإسلامي، ولا يعني ذلك ترك التقنيات الجغرافية الحديثة وعدم مواكبة التطورات المنهجية بل المزج بينهما كما أبان ذلك الغنيم بقوله "وأخيراً يجب ألا ننسى أن البحث في التراث العربي، بحث في حقيقة ذاتنا وحدود طاقاتنا وأن كل علم ينبغي أن يستند على أساس فكري، يتفاعل فيه تراث الأمة مع مختلف الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ومن هنا كان علينا أن نعود إلى التراث الجغرافي الذي خلفه آباؤنا دارسين ومحققين لنربط الماضي بالحاضر ونتابع مسيرة الأجداد" (الغنيم، ١٩٧٧م،

ص ١٦٨). ويعد التراث الجغرافي الإسلامي - كما ذكر الدكتور غلاب - مصدراً أولياً وأساساً موثقاً به يتمتع بقدر كبير من التقدير والاحترام للجغرافية التاريخية لأوروبا وأفريقيا في أكثر فترات تاريخ هاتين القارتين حسماً، فترات تكوين الغرب واستيطان الأوطان (غلاب، ١٩٨٤م، ص ١٥٤).

٤-٢ الجغرافية العربية المعاصرة وعلاقتها بالتراث الجغرافي الإسلامي

يتضح عند مراجعة كتابات المعاصرين العرب - سواءً كان في أبحاثهم العلمية أو في الأطروحات العلمية (الماجستير والدكتوراه) لهم، أو في الساعات المقررة لدراسة التراث الجغرافي الإسلامي في خطط الجامعات العربية - أن الاهتمام بالتراث الجغرافي محدود، وبهذا يتضح التجاهل الواضح مقارنة بالإنتاج العلمي العام.

٤-٢-١ التراث الجغرافي الإسلامي في بعض الدوريات الجغرافية العربية

تنخفض بشكل كبير إسهامات الجغرافيين المعاصرين في دراسة وتحقيق التراث في أبحاثهم الجغرافية، ويمكن الاستشهاد على ذلك بلغة الأرقام فعند حصر الأبحاث الجغرافية المنشورة في ثلاث جمعيات جغرافية عربية وهي الجمعية الجغرافية المصرية، والجمعية الجغرافية الكويتية، والجمعية الجغرافية السعودية جدول (١) نموذجاً لضعف التوجه العلمي لدراسة التراث الجغرافي.

جدول (١) الأبحاث الجغرافية المنشورة في بعض الدوريات العربية

المتخصصة للفترة ١٩٦٨/٢٠٠٣م

اسم الجمعية	عدد الأبحاث المنشورة	عدد الأبحاث في التراث الجغرافي الإسلامي	عدد الأبحاث التي رجعت إلى مصادر من التراث
الجمعية الجغرافية المصرية	١٥٩	٥	٥
الجمعية الجغرافية الكويتية	٢٩٤	٣٧	٤٠
الجمعية الجغرافية السعودية	٥٠	-	٥
الإجمالي	٥٠٣	٤٢	٥٠

المصدر: تجميع الباحثين اعتماداً على:

الجمعية الجغرافية المصرية، أعداد متفرقة من عدد ٢- عدد ٤٠، للفترة ١٩٦٨-٢٠٠٢م.

الجمعية الجغرافية الكويتية، رسائل جغرافية، الأعداد ١- ٢٩٤، للفترة ١٩٨١-٢٠٠٤م.

الجمعية الجغرافية السعودية، الأعداد ١- ٥٦، للفترة ١٩٨٩-٢٠٠٣م.

وباستعراض البيانات الواردة في جدول (١) وجد أن الكم الكبير من الأبحاث المنشورة في الجمعيات المتخصصة لا يشاطره اهتمام بالبحث التراثي الجغرافي، حيث لم يسجل سوى ٥, ٢٪ من جملة البحوث المنشورة وهي نسبة لا يمكن أن تكون مقبولة لمتخصصين يتطلعون إلى محاكاة الجغرافيين السابقين.

وتدل الأرقام الخاصة بعدد المراجع التراثية التي رُجع إليها من قبل الباحثين في أبحاثهم على أنها ضئيلة، وربما يدل ذلك على ضعف المعرفة بالكنوز الجغرافية التراثية المتمثلة بأصول أدبيات الجغرافية، أو بتجاهلها باعتبارها أدبيات يغلب عليها العجائب المسجوعة والتي لا تصلح في عصر العولمة والانفجار المعرفي الذي هو عصر التقنية والحاسوب والأساليب الكمية والاستشعار عن بعد واستخدام نظم المعلومات الجغرافية، والحقيقة التي لا تقبل مجالاً للشك أن

الماضي هو مفتاح الحاضر، وأن دراسة تراثنا الجغرافي لا تعني التخلف بل الأساس الثمين الذي نحاول به بعث حضارتنا الإسلامية من جديد.

٤-٢-٢: الرسائل العلمية في مجال التراث الجغرافي الإسلامي

لم تكن الأطروحات العلمية أفضل من الأبحاث المتخصصة في مدى اقترانها بالتراث الجغرافي الإسلامي والجدول رقم (٢) يعطي دلالة على ذلك في نموذجين إحداهما له بعد تاريخي في منح الدرجات العلمية، والآخر حديث بمنح الدرجات العلمية.

جدول (٢) الرسائل العلمية في مجال التراث الجغرافي الإسلامي المسجلة في مصر والسعودية

الدولة	عدد الرسائل العلمية المسجلة		عدد الرسائل في التراث الجغرافي		الفترة الزمنية
	ماجستير	دكتوراه	ماجستير	دكتوراه	
مصر	٥٣٢	٣١٥	٤	٤	١٩٣٣ / ١٩٩١ م
السعودية	١٤٢	٢٢	٣	-	١٩٨٠ / ١٩٩٣ م
الإجمالي	٦٧٤	٣٣٧	٧	٤	-

المصدر: عصفور، محمود عبداللطيف، سجل الرسائل للماجستير والدكتوراه في الجغرافيا في الفترة من ١٩٣٣-١٩٩١ م، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.
الجمعية الجغرافية السعودية، دليل رسائل الماجستير والدكتوراه في أقسام الجغرافيا بجامعة المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٩٣ م.

ويظهر في الجدول شبه إهمال لقضايا التراث الجغرافي التي يحتاج الكثير منها إلى تحقيق ودراسة ومقابلة للنصوص. وإن تعدد مصنفات التراث التي تربو على مئات المصنفات تحتاج إلى مجموعة من طلاب الدراسات العليا الذين يسبرون الحقائق والمفاهيم المسجلة في تلك المصنفات. وعند دراسة الوضع العلمي في الجدول نجد التالي:

(١) لم تصل نسبة الرسائل المسجلة في التراث الجغرافي الإسلامي في جامعات مصر إلى نسبة ١٪، حيث وصلت إلى ٠,٩٤٪، وهذا لا يتناسب مع المصنفات التي تحتاج إلى تحقيق، والسبب في ضآلة تلك النسبة عدم التوجيه من قبل الجهات الراعية للدراسات العليا.

(٢) لم تسجل أي رسالة للدكتوراه في جامعات المملكة العربية السعودية في التراث الجغرافي، وهذا تقصير تقع مسؤوليته على الأقسام الجغرافية التي يجدر بها تشجيع طلاب الدراسات العليا على انتهاج البحث في التراث الجغرافي ومقابلة نصوصه مع مفاهيم الجغرافية الحديثة.

(٣) لا يمكن أن تتوسع الدراسات التراثية، خاصة وأن نظام العولمة قد يضيق ذلك، في ظل الاتجاه الذي أخذه المتخصصون في الجغرافيا حول تبني التقنيات الجغرافية المتمثلة بنظم المعلومات والاستشعار عن بعد، إلا أنه لابد من إعطائها جزءاً من اهتمام الأقسام المتخصصة.

٤-٢-٣ الخطط الدراسية بأقسام الجغرافيا بالجامعات العربية ومساهمتها في إحياء التراث الجغرافي

تتفاوت أقسام الجغرافيا بالجامعات العربية في ترسيخ مبادئ التراث الجغرافي لطلاب البكالوريوس ما بين مقتر ومتجاهل ويتضح ذلك في النظر إلى خطط الأقسام الرئيسة في بعض الجامعات جدول (٣) الذي يتبين فيه عدد الساعات المقررة للتراث الجغرافي في إحدى عشر قسمًا والذي يظهر فيه:

(١) استبعاد تدريس التراث الجغرافي العربي الإسلامي في مقرر مستقل لدى ثمانية أقسام وبنسبة ٧,٧٢٪ من إجمالي الأقسام الجغرافية الموضحة في الجدول، ولعل هذا التجاهل مرتبط بانخفاض أعداد الساعات الذي جعل تدريس التراث

الجغرافي فيها كلها أو حتى في بعضها الفكر الجغرافي عموماً ليس من أولويات الأقسام.

(٢) أخذت ثلاثة أقسام جغرافية بوضع مقرر ضمن خطتها الدراسية بواقع ساعتين ضمن برنامج تدريس الجغرافيا في البكالوريوس للتراث الجغرافي العربي الإسلامي، ويأتي اهتمام تلك الأقسام من منطلق تأصيل العلوم وبيان الريادة الإسلامية للمتخصصين في الجغرافيا. وقامت بعض تلك الأقسام مشكورة بالإعداد والتنسيق والإشراف العلمي على عقد لقاءات ومؤتمرات جغرافية في بيان دور المسلمين في إثراء الفكر الجغرافي؛ وما المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول الذي عقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٣٩٩هـ إلا شاهد على هذا الاهتمام حيث كان من أبرز محاور المؤتمر بسط صورة موسعة حول دور المسلمين في إثراء المعرفة الجغرافية.

(٣) سلكت بعض أقسام الجغرافيا سبيل تدريس مقتطفات من التراث الجغرافي العربي الإسلامي ضمن مفردات المقررات، وبما يتناسب مع أهداف كل مقرر، بدلاً من تخصيص مقرر مستقل. ويعد قسم الجغرافيا بجامعة دمشق رائداً في هذا المجال، عندما أولت أكثر كتبه الجامعية الجغرافية هذا الموضوع حقه.

(٤) توظف في خطط أقسام الجغرافيا بالجامعات العربية الدراسات الإقليمية بشكل كبير، حيث تسجل في بعض الأقسام أكثر من عشرين ساعة في ست أو سبع مقررات مع العلم أن الدراسات الإقليمية في الجغرافيا ذات ارتباط بأدبيات التراث الجغرافي التي شملت معظم العالم القديم في الكتابة، ولذا يمكن أن يفرد مقرر لتقوية الجانب التاريخي في تلك الكتابات والمسجل لعلماء الجغرافيا من المسلمين.

جدول (٣) نصيب تدريس التراث الجغرافي
العربي الإسلامي في خطط بعض الجامعات العربية

النسبة %	عدد ساعات مقرر التراث	عدد الساعات الإجمالي	الجامعات
صفر	-	١٣٠	جامعة أم القرى
١,٦	٢	١٢٨	تخصص التقنيات الجغرافية
صفر	-	١٢٨	تخصص عام
صفر	-	١٢٨	قسم الجغرافيا/ كلية الآداب/ جامعة الملك سعود
١	٢	١٩٨	كلية العلوم الاجتماعية بالرياض/ قسم الجغرافيا
١,١	٢	١٨١	كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم/ قسم الجغرافيا
-	-	١٩٨	الشريعة والدراسات الإسلامية بالإحساء/ قسم الجغرافيا
صفر	-	١٣٤	قسم الجغرافيا/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة الملك عبدالعزيز
صفر	-	٧٧	قسم الجغرافيا/ كلية الآداب/ جامعة البحرين
صفر	-	١٧٦	قسم الجغرافيا/ كلية الآداب / جامعة القاهرة
صفر	-	٢٠٠	قسم الجغرافيا/ كلية آداب المنيا/ جامعة المنيا
صفر	-	١١٨	قسم الجغرافيا/ كلية الآداب/ جامعة وهران
صفر	-	١٧٣	قسم الجغرافيا/ كلية الآداب/ جامعة دمشق

المصدر:

- (١) الجمعية الجغرافية السعودية، (١٤٢٠هـ)، دليل أقسام الجغرافيا بالجامعات والكليات بالمملكة العربية السعودية، ص ص ٩-٣.
- (٢) جامعة الملك سعود، (١٤٢٣هـ)، مرشد الطالب للبرامج الأكاديمية (كلية الآداب)، ص ص ١٨-٢٣.
- (٣) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤١٩هـ)، دليل الجامعة، صفحات متفرقة.
- (٤) الجمعية الجغرافية السعودية، (١٤٢٠هـ)، دليل أقسام الجغرافيا بالجامعات والكليات بالمملكة العربية السعودية، ص ص ٥٣-٥٤.
- (٥) دليل جامعة القاهرة، (٢٠٠٢م)، منشورات الجامعة.
- (٦) جامعة المنيا، (٢٠٠٣م)، لائحة كلية الآداب، بيانات غير منشورة.
- (٧) جامعة وهران، (٢٠٠٣م)، لائحة مقررات جامعة وهران.
- (٨) جامعة دمشق، (٢٠٠٣م)، دليل جامعة دمشق.
- (٩) <http://www.uob.edu.bh/colleges/arts/sciences3htm..>

خامساً: التحليل والمناقشة لاتجاهات أعضاء هيئة التدريس حول التراث الجغرافي العربي الإسلامي

اشتملت الدراسة على عينة من أعضاء هيئة التدريس الجغرافيين من خمس دول عربية لمعرفة اتجاهاتهم وتقويمهم لبعض التساؤلات التي تناولتها الاستبانة في ملحق (٣). وحاولت الدراسة تمثيل الدرجات العلمية الثلاث (أستاذ مساعد، وأستاذ مشارك، وأستاذ) بنسبة ٦١٪، ٨، ٢٣٪، ٢، ١٥٪ على التوالي. وقد كانت العينة - إلى حد ما - متقاربة في نسبة الحاصلين على الدرجة العلمية من الجامعات العربية والأجنبية بنسبة ٧، ٥٥٪، ٣، ٤٤٪ على التوالي. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من الاتجاهات التي يمكن مناقشتها في المحاور التالية:

٥-١ التخصص العلمي ودرجة استيفاء المادة العلمية من النص التراثي

يغلب على تخصصات أعضاء هيئة التدريس في أكثر الجامعات العربية التخصص البشري نظراً لتعدد فروع الجغرافية البشرية، وفي عينة الدراسة كانت نسبة متخصصي الجغرافية البشرية ٦، ٦٩٪ من إجمالي العينة وعند مقارنة الاهتمامات العلمية بأشكال الأفكار المقتبسة من كتب التراث جدول (٤) وجد التالي:

جدول (٤) الأفكار والمفاهيم المكتسبة
من كتب التراث وعلاقتها بالتخصصات العلمية

النسبة %	تخصص الفكرة العلمية المكتسبة	النسبة %	الاهتمامات العلمية
١٥,٥	الخرائط	٥,٧	الإقليمية
٥,٦	العمران	١١,٤	الدراسات السكانية
٢,٨	الطبيعية	٣٧,١	الاهتمامات البيئية
١,٤	الفلكية	١١,٥	التنمية العمرانية
-	-	٥,٧	المجالات الطبيعية
-	-	١٤,٣	الدراسات الاقتصادية
-	-	٥,٧	خرائط
٢٥,٣	المجموع	٨,٦	التقنيات ونظم المعلومات الجغرافية

المصدر: الدراسة الميدانية.

(١) تدني نسبة المستفيدين من التراث الجغرافي العربي الإسلامي، حيث شكلت النسبة ٢٥,٣٪ في حين أن ٧٤,٧٪ من الجغرافيين الذين شملتهم العينة لم يرجعوا إلى كتب التراث مما يعني أن التأثير بالمدرسة التراثية الجغرافية في كتاباتهم الجغرافية يكاد يكون منعماً.

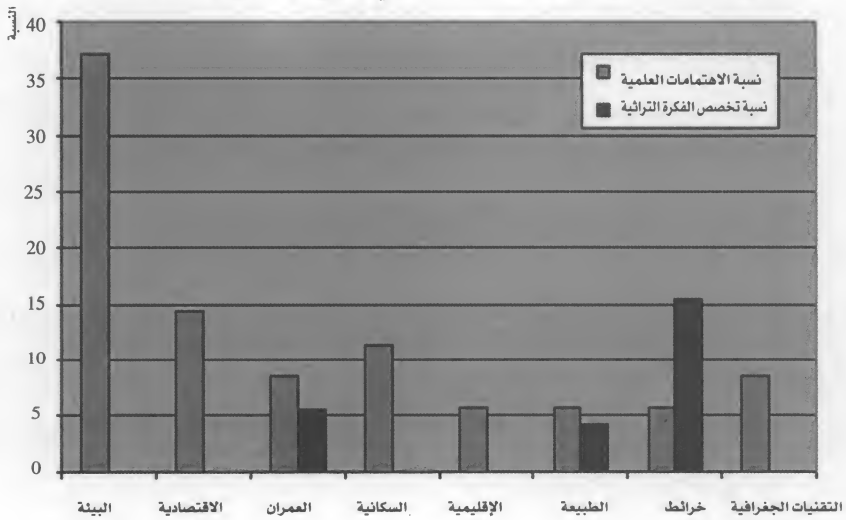
(٢) يوحى تخصص الفكرة العلمية المكتسبة أن الخرائط أكثر التخصصات المساندة للجغرافية استفادة من المادة التراثية في كتب النصوص، ولربما يعود ذلك إلى الاستفادة من مراحل تطور الخارطة التاريخية، ومعرفة أساليب الرسم التي كانت سائدة منذ زمن مبكر مثل مقياس الرسم، وتدرج الألوان، والاهتمام بتوجيه الخارطة.

(٣) أبدعت كتب التراث في دراسة العمران بشكل وصفي وتعليلي، وخرجت ببعض المفاهيم إلا أن نسبة من استفاد منها من متخصصي جغرافية العمران في العينة بلغ ٥,٦٪ من حجم عينة المختصين بالعمران البالغة ٢١,٩٪.

من إجمالي العينة، وهي نسبة متوسطة في ظل وضوح إسهامات الجغرافيين المسلمين في مجال العمران، كما هو في مقدمة ابن خلدون على سبيل المثال.

(٣) تشكل نسبة المستفيدين من المصنفات الكوزموغرافية التراثية ١٦,٧٪ من إجمالي متخصصي الجغرافية الطبيعية في العينة، وهي نسبة متدنية في ظل النظريات والحقائق التي أثبتها الجغرافيون المسلمون فيما يخص المد والجزر، ونشأة الأنهار، والأحوال المناخية والتي سبق عرض صور منها في الجزء الأول من الدراسة.

شكل (١) نسبة الذين اقتبسوا من التراث الجغرافي العربي الإسلامي وعلاقته بالاهتمامات العلمية



(٤) يظهر في شكل (١) أن التوافق بين الاهتمامات العلمية الجغرافية والذين استفادوا من كتب التراث الجغرافي من أصحاب تلك الاهتمامات يصل إلى ٢٥,٣٪ من مجموع الاهتمامات. ولاشك أن ذلك عائد إلى جملة أسباب يمكن استعراضها لاحقاً.

٥-٢ آلية رفع مكانة التراث الجغرافي العربي الإسلامي عند المتخصصين

عند استقصاء الطريقة التي يمكن بها جني ثمار التراث الجغرافي العربي الإسلامي لدى عينة الدراسة المحددة بالآليات الموضحة في جدول (٥) وجد أن

النسب المستوفاة حسب الخيارات الأربعة تأخذ التالي:

جدول (٥) نظرة الجغرافيين العرب لآليات رفع مكانة تراثهم الجغرافي الإسلامي والاعتناء به

الآليات التي يمكن بها ربط الجغرافيين بترائهم العربي	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	متروك
تأليف الكتب التي تبرز الجوانب المضيفة للتراث العربي الجغرافي	٨٠,٩	١١,٨	٤,٤	٢,٩
توجيه بعض الأبحاث الطلابية لسبر التراث عبر التحقيق العلمي	٥٢,٩	٣٨,٢	٥,٩	٢,٩
وضع مقرر في الخطة الدراسية يهدف إلى كشف الكنوز العلمية للتراث الجغرافي	٦٠,٣	٢٣,٥	١٣,٢	٢,٩
إدراج بعض من المادة العلمية التراثية في المقررات الجغرافية النظرية	٥٩,٤	٢٦,١	١٠,١	٤,٣
عقد لقاءات أو ندوات عامة لتغطية جوانب مضيفة من التراث الجغرافي	٦٢,٣	٢٧,٥	٥,٨	٤,٣
إعطاء الأولوية لأبحاث التراث الجغرافي الرصينة في الترقيات العلمية	١٨,٨	٣٣,٣	٤٢	٥,٨
إنشاء معهد متخصص لدراسة التراث العربي الإسلامي	٥٢,٩	٣٠	٧,١	١٠

المصدر: الدراسة الميدانية.

(١) أجمع ٨٠,٩٪ من عينة الدراسة على تبني اتجاه تأليف الكتب، مع وجود نسبة موافقة إلى حد ما تؤيد هذا المنحى، والتأليف الذي من شأنه إبراز الجوانب المضيفة في كتب التراث الجغرافي قد يكون مصيره إلى ذات المصير الذي آلت إليه كتب التراث ما لم يدعم بطريقة تسهم بالاطلاع عليه من خلال إدراج مقرر يعمد إلى تصفح تلك الجوانب التي تم التأليف فيها، وهذا بالفعل ما أيدته ٦٠,٣٪ من العينة.

(٢) أبدى ٩, ٥٢٪ من مجموع العينة إمكانية توجيه بعض الأبحاث الطلابية لسبر التراث عبر التحقيق العلمي، في حين أبدى ٢, ٣٨٪ من حجم العينة موافقة غير قاطعة، ولربما جاءت هذه النسبة بسبب الشك في مدى جدية الطالب حول هذا الهدف واعتماده على ذاته دون مساندة من أحد، أو تكون - حالة انتفاء السبب الأول - معضلة لعضو التدريس المشرف الذي ليس له باع أو اطلاع في كتب التراث الجغرافي عند تقويم طلابه في تلك الأبحاث.

(٣) وافق ٤, ٥٩٪ من عينة الدراسة على إدراج بعض من المادة العلمية التراثية في المقررات الجغرافية النظرية لربط إسهامات الجغرافيين المسلمين ومقارنتها بمساهمات المدارس الجغرافية الحديثة. ويمكن أن يؤدي هذا الربط ثماره في إمكانية الاطلاع المنهجي لمجموعة من الطلاب على مزيد من تراثهم الجغرافي من جهة، كما أنه من المؤمل أن يسوق إلى كشف حقائق كامنة في متون تلك المصنفات من جهة أخرى.

(٤) يمثل عقد لقاءات أو ندوات عامة لتغطية جوانب مضيئة من التراث الجغرافي نوعاً من الآليات التي أجمع عليها ٣, ٦٢٪ من عينة الدراسة، وحذا لو خصص محور أساس في اللقاء كدراسة المدن في كتب التراث، أو الإضافات العلمية في الجغرافية الاقتصادية، أو عرض للمطابقات المكانية في المواقع الجغرافية بين بعض المصنفات الإقليمية التراثية والكتب الإقليمية المعاصرة.

(٥) لم يشكل إعطاء الأولوية لأبحاث التراث الجغرافي الرصينة في الترقيات العلمية نصيباً من وجهات نظر العينة، حيث لم يؤيد ذلك سوى ٨, ١٨٪ من إجمالي العينة، بينما رفض ٤٢٪ من العينة أن تدخل أبحاث التراث الجغرافي الرصينة ضمن الإنتاج العلمي الداعم للترقية، ويمكن إرجاع هذا الرفض في الغالب إلى ضعف الاطلاع على متون المصنفات التراثية. وعدم قراءة الأبحاث التي نشرت حول بعض الجزئيات الجادة الخاصة بالتراث.

٦) وافق أكثر من نصف العينة (٩, ٥٢٪) على جدوى إنشاء معهد متخصص لدراسة التراث العربي الإسلامي يعنى بدراسة تراث المعرفة لدى المسلمين في جميع التخصصات بما فيها الجغرافية. ويمكن أن تتمحور مهام هذا المعهد في تحقيق المصنفات التراثية بالتعاون مع الأكاديميين المتخصصين، وإصدار مجلة للتراث العربي تختص بجمع شتات الأبحاث التراثية المنشورة في المجلات العلمية الأخرى، ودحض الشبهات التي ألصقت بتراثنا من قبل بعض المستشرقين.

٥-٣ صور تعامل الجغرافيين العرب المعاصرين مع التراث الجغرافي

أظهرت نتائج الدراسة ثلاثة أشكال من التعامل للجغرافيين العرب مع تراثهم الجغرافي استجلاه السؤال العام والأسئلة المتخصصة في الاستبانة. ولدراسة ذلك والوقوف على أسباب هذا التعامل تم إفرادها بالدراسة.

٥-٣-١ الاطلاع المباشر

أعطت نتائج تحليل الاستبانة أن ٨٤, ٥٪ من عينة الدراسة اطلعوا على دراسات لنصوص تراثية وفق السؤال العام الذي أخذت منه تلك النتائج، في حين كشف السؤال السادس في الاستمارة (ملحق ٣) أن الاطلاع المباشر لم يشكل سوى ٢٥, ٣٪ من النسبة السابقة مما يعني أن ٥٩, ٢٪ من العينة التي أجابت على السؤال العام كان اطلاعهم على كتب التراث بشكل غير مباشر.

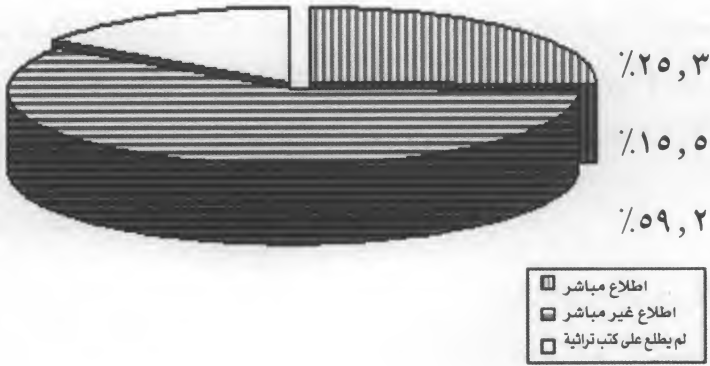
ولقد جاء الاطلاع المباشر وفق سرد هذه النسبة من العينة لأفكار علمية جغرافية مأخوذة عن مؤلفات تراثية عرضوا أسماءها. وقد اقتصر الاطلاع المباشر على كتب تراثية محدودة مثل أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي، ورحلة بن جبير، ومقدمة ابن خلدون وأوغريها، وكان هناك اطلاع على كتب أقل شهرة من تلك مثل وصف

أفريقيا للحسن الوزان، وصفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز لابن المجاور وغيرها.

٥-٣-٢ الاطلاع غير المباشر

شكلت نسبة الاطلاع غير المباشر ٥٩,٢٪ شكل (٢)، وهذه النسبة العالية جعلت الحكم على كتب التراث الجغرافي من حيث المكانة العلمية لها ضعيفة لأسباب يمكن تحديدها فيما يلي:

شكل (٢) صور تعامل الجغرافيين العرب المعاصرين مع التراث الجغرافي العربي



المصدر: الدراسة الميدانية.

(١) يؤثر تخصص محرري كتب التراث المعاصرين على نوع الأفكار العلمية المنقولة وكيفية توظيفها لصالح النص، حيث يجيدون في مجال تخصصهم في حين تقل كفاءة تقويمهم للمعلومات الخارجة عن تخصصاتهم.

(٢) يغيب عن محرري كتب التراث المعاصرين التي يرجع إليها بعض الجغرافيين كثيراً من نصوص النظريات الحديثة التي لها أسس في مصنفات الجغرافية التراثية، مما يجعلهم لا يوفون تلك النظريات التي وردت في كتب التراث حقها من التعليق والإشادة.

٣) يصعب على الجغرافيين المعاصرين الذين كتبوا في التراث الجغرافي سبر جميع المصنفات واستنباط المعلومات الضافية منها نظراً لأنهم يخوضون غمار كم من المعلومات دوّته عشرات المصنفين في أكثر من سبعة قرون.

٥-٣-٣ عدم الاطلاع على كتب التراث نهائياً

شكلت نسبة الذين لم يطلعوا على كتب التراث الجغرافي ٩, ١٥٪ من جملة عينة الدراسة، وهذه النسبة تعني أن بعضاً من الأكاديميين الجغرافيين حرموا من الاستدلال أو الاقتباس من كتب التراث الجغرافي العربي الإسلامي، ولتابعة ودراسة أسباب عدم الاطلاع أفرد الموضوع التالي لمناقشته.

٥-٤ محددات ضعف الاستفادة من كتب التراث الجغرافي العربي الإسلامي

يمكن من قراءة جدول (٦) استنتاج بعض العوامل التي كان لها تأثير في ضعف الاستفادة من كتب التراث الجغرافي العربي الإسلامي والتي يجدر استعراضها على النحو التالي:

(١) إن أولى العوائق التي حالت دون اطلاع جزء من عينة الدراسة على المصنفات الإسلامية هو ضعف الاتجاه السائد في الأبحاث العلمية حول الاقتباس من كتب التراث الجغرافي، ومثلته النسبة ٧, ٢٣٪، ويرجع ذلك إلى قصور في دور لجان الترقية التي لا تشير على الباحثين إلى أهمية التأصيل الإسلامي للمعلومات الجغرافية الحديثة إن وجدت، وحثهم على كتب التراث والإفادة منها.

(٢) جاء تهميش مصنفات التراث الجغرافي الإسلامي في المرحلة الجامعية في المرتبة الثانية من حيث أسباب عدم المعرفة أو الاطلاع بنسبة ٨, ١٧٪ من إجمالي العينة، وقد أثبتت الدراسة ذلك، حيث لوحظ من دراسة لوائح العديد من الجامعات ضآلة عدد الساعات المقررة لدراسة التراث الجغرافي الإسلامي أو

انعدامها (انظر جدول: ٣). وفي هذا الصدد يجدر بالأكاديميين المسؤولين عن وضع الخطط الجامعية في الجامعات العربية إدراج مقرر التراث الجغرافي العربي الإسلامي أو الفكر الجغرافي العربي الإسلامي لاستجلاء دوره في إثراء الفكر الجغرافي العالمي كمقرر ضمن المقررات الدراسية في المرحلة الجامعية، لكي يتسنى للأساتذة والباحثين الاطلاع على البحث في هذا المجال.

٣) أكد نحو ١, ١٤٪ من الذين لم يسبق لهم الاطلاع على أحد كتب التراث الجغرافي العربي الإسلامي على صعوبة الحصول على تلك المصنفات بسهولة في المكتبات العامة والتجارية. ويمكن لمسؤولي الثقافة والنشر في الدول العربية والإسلامية توفير هذه المصنفات في شتى فروع المعرفة في طبعات عادية تكون في متناول الجميع.

٤) من الأسباب الرئيسة التي أدت بالباحثين إلى البعد عن سبر أغوار المصنفات التراثية الجغرافية ونسبة (٥, ١٣٪ من إجمالي العينة) التأثر بالمدارس الجغرافية الحديثة التي تربط الحقائق الجغرافية بالفكر الجغرافي المعاصر، ويمكن تفسير ذلك بحصول عدد كبير من عينة البحث على درجاتهم العلمية (الماجستير، والدكتوراه) من الدول الغربية ونسبة (٣, ٤٤٪ من أفراد العينة، مما أدى إلى تغييب دور جغرافي المسلمين في إثراء الفكر الجغرافي المعاصر.

٥) يظهر أن التأثر بالمدرسة الجغرافية الحديثة قد أسهم بشكل أو بآخر في اعتقاد مجموعة من الجغرافيين أن الحقائق الجغرافية ما هي إلا وليدة العصر الحديث (القرن التاسع عشر وما بعده)، مما حدا بهذه النسبة التي تصل إلى ٣, ١١٪ من عينة الدراسة التي لم تطلع على كتب التراث الجغرافي العربي الإسلامي إلى تصور أنها خالية من التأصيل العلمي للجغرافيا. وقدغيروناظرتهم كثيراً إذا دققوا النظر في هذه المصنفات، ووجدوا أن الكثير من الحقائق الجغرافية المعاصرة قد وردت فيها إشارات حية في تلك المصنفات.

جدول (٦) محددات ضعف الاستفادة من كتب التراث الجغرافي العربي الإسلامي

النسبة	النقاط المسجلة	أسباب عدم الاطلاع على كتب التراث الجغرافي العربي الإسلامي
٢٣,٧	٤٤	ضعف الاتجاه السائد في الأبحاث العلمية حول اقتباس النصوص أو المعلومات الجغرافية منها
١٧,٨	٣٣	تهميش تلك المصنفات في الدراسات الجامعية وعدم إعطائها حقها في دراسة الفكر الجغرافي
١٤,١	٢٦	صعوبة الحصول على تلك الكتب بسبب ندرتها في المكتبات العامة والتجارية
١٣,٥	٢٥	التأثر بالمدرسة الجغرافية الحديثة التي تربط الحقائق الجغرافية بالفكر الجغرافي المعاصر
١١,٣	٢١	التصور بأن مادتها العلمية مقتصرة على سرد للمواقع الجغرافية دون خوضها في التأصيل العلمي للجغرافيا
١١,٣	٢١	عدم العلم باحتوائها على مادة علمية رصينة في التخصص الذي أحمله
٨,١	١٥	الإهمال شبه التعمد لما جاء بها من معرفة رصينة على الرغم من المعرفة بالجدية التي تتمتع بها تلك المصنفات

المصدر: الدراسة الميدانية.

(٦) أن البعض من أصحاب التخصصات الدقيقة والحديثة في علم الجغرافيا التي تقوم على الحاسوب والتقنيات الحديثة ونسبة ١١,٣٪ ترى أن كتب التراث الجغرافي الإسلامي لا تحتوي على المادة العلمية في التخصص الدقيق الذي يعمل في مجاله، لذا أثر توفير الوقت وعدم العناية في البحث فيما لا طائل وراءه من حيث الحصول على بغيته العلمية. وقد تكون لوجهة النظر هذه قبولها إلى حد ما بيد أن ذلك لا يمنع من أن الباحث قد يجد ما يؤصل به أطروحته الجغرافية إسلامياً حتى من الناحية النظرية، خاصة وأن هناك أدوات قياسية قامت عليها نصوص التراث الجغرافي مثل الاسطرلاب والبوصلة والخارطة وغيرها.

٥-٥ نوع الفكرة العلمية المقتبسة وطبيعة الحكم على النصوص التراثية

يشير الترتيب النوعي للأفكار المقتبسة من مصنفات التراث العربي الإسلامي إلى أن الفروع أو التخصصات التي استفادت من كتب التراث، خاصة العمران والحرائط جاء بسبب تحديد الأجيال لهما وإضافة إليهما في العصور الوسطى الإسلامية بمعنى أن الأولين منهم مثل الاصطخري وابن حوقل والخوارزمي والمتأخرين مثل الإدريسي وابن خلدون قد اهتموا بهذين الفرعين اهتماماً جعلهما حديثي عهد بالباحثين الجدد ظناً منهم أنهما فقط اللذان نبع فيهما المسلمون العرب ناسين بقية الفروع الأخرى التي لا تقل إبداعاتهم فيها شأناً عن هذين الفرعين المعروفين لدى المحدثين (المعاصرين).

وغالبية الأفكار المقتبسة من كتب التراث الجغرافي العربي الإسلامي من قبل الجغرافيين المعاصرين لم تقتبس مباشرة من كتب التراث، وإنما نقلت من دراسات تحليلية لبعض هذا التراث.

جدول (٧) رأي عينة الدراسة في خصائص النص التراثي الجغرافي

الخصائص	انسياب النص	شمولية المعلومة	تعميم المعلومة	إيجاز المعلومة	دقة المعلومة	رصانة النص
النسبة	٢٧,٤	٢٥,٨	١٩,٤	١٤,٥	٨,١	٤,٨

المصدر: الدراسة الميدانية.

أما عن طبيعة الأحكام على النصوص التراثية فقد جاءت متباينة جدول (٧)، حيث يرى (٢٧,٤٪) انسيابية في النص، في حين كانت مرئيات أكثر من ربع أفراد عينة الدراسة (٢٥,٨٪) شمولية المعلومة الجغرافية، بينما يؤيد الخمس (١٩,٤٪) التعميم في المعلومة، وأن ١٤,٥٪ يرون أن من خصائص النص إيجاز المعلومة، وكانت النسب الأدنى ترى دقة المعلومة ورصانة في النص بنسبة

١, ٨٪، ٨, ٤٪ على التوالي وانخفاض هذه النسب - الأخيرة - التي من شأنها رفع المكانة العلمية للتراث الجغرافي العربي الإسلامي ناتج عدم توظيف النصوص التراثية في محاكاة الظواهر الجغرافية. وربما يرجع تفاوت الآراء في هذا النص - كمثال تراثي - إلى عدم تعود الكثير من أفراد الدراسة على قراءة مثل هذه النصوص، وأن الكثير منهم لم يرجعوا مباشرة إلى المصادر الرئيسة للتراث الجغرافي العربي الإسلامي المتمثلة في المخطوطات أو المطبوع من كتب التراث. وفي هذا دليل على أن الاطلاع غير المباشر على مثل هذه النصوص قد يضعف الاستفادة من هذه المكنونات النفيسة.

ويوحى تباين النسب جدول (٧) إلى أن وجهات النظر الجغرافية - حول النصوص التراثية - المنقولة في كتب الجغرافيين المعاصرين غير محققة في الحكم على كتب التراث نظراً لما يتميز به كل جغرافي معاصر من وجهة نظر قد لا توافق الآخرين، وهذا ما يجعل الاطلاع غير المباشر ذا جدوى علمية منخفضة.

الخاتمة والتوصيات

أُلقت الدراسة الضوء على مجموعة من الحقائق المهمة عن التراث الجغرافي الإسلامي التي كان من أهمها:

(١) أن هناك العديد من أوجه الريادة العلمية في الجغرافيا في العصور الوسطى؛ حيث توصلوا إلى حقائق علمية عدة في كل فروع الجغرافيا تناظر الحقائق الجغرافية المعاصرة.

(٢) حقق المسلمون قصب السبق في معظم فروع الجغرافيا في ظل إمكانات متواضعة، خاصة في الجغرافية الفلكية والرياضية التي تحتاج إلى أدوات رصد دقيقة، ورغم ذلك توصلوا إلى نتائج قريبة جداً من الحقائق والقياسات التي توصل إليها المعاصرون الذين تهيأت لهم تقنيات عالية سهلت عملهم في القياس.

(٣) لم يهمل المسلمون اتباع أساليب المنهج العلمي في الدراسات الجغرافية، من حيث الدراسة الميدانية واستخدام أغلب أدوات البحث العلمي مثل الملاحظة والاستبيان الشفوي (المقابلة)، وكانت الرحلات ذات أهمية مزدوجة من حيث كونها تقابل الكشوف الجغرافية الحديثة بإضافتها الكثير من المعلومات عن العالم المجهول وتفصيلات دقيقة عن العالم المعروف، خاصة في شمال أوروبا وسيبيريا ووسط أفريقيا. أما الوجه الثاني لأهمية الرحلات فيظهر في كونها مصدراً من مصادر الدراسات الإقليمية (المسالك والممالك) وغيرها من الفروع.

(٤) كان للخريطة شأن كبير في كتابات الجغرافيين المسلمين، وليس أدل على ذلك من اقتران الخريطة بالنص في النصوص المكتوبة، فلا يخلو مصنف جغرافي من مصنفات المسلمين من الخرائط الملازمة للنص، وهذه سمة من سمات الجغرافية الإقليمية في العصر الحديث وهو التلازم بين المعلومات الإقليمية والخريطة.

٥) أوضحت الدراسة الدور الكبير لبعض المستشرقين في إحياء التراث الجغرافي الإسلامي، وكان الدور الأبرز لكل من دي خويه De Goeje الهولندي وكراتشكوفسكي Krachkovski الروسي وميللر Miller الألماني، ويأتي في الدرجة الثانية بعدهم كل من الدوميلي ALdomieli وبارثولد Barthold الروسي، وهل وجستاف لوبون، وسخوى Schoy، والإيطالي كارلو الفونسو نالينو Nallino ورينو Reinaud M، وكريمرس Kramers، ومينورسكي Minorsky، فقد أدت أعمال هؤلاء وغيرهم إلى كشف الجوانب المضيئة التي قدمها المسلمون في سبيل تقدم الفكر الجغرافي والمعرفة الجغرافية العالمية، وأسهم هؤلاء المستشرقون المنصفون في إرجاع الحق لأهله باعترافهم بأن العصور الوسطى كانت إسلامية علمياً.

٦) أُلقت الدراسة الضوء على جهود بعض من علماء المسلمين المعاصرين سواء كانوا جغرافيين أو من تخصصات أخرى الذين كان لهم جهد واضح في إزالة الغشاوة عن كنوز التراث الجغرافي الإسلامي، وكانت العلامات المضيئة في هذا المضمار تسجل للعديد منهم، خاصة ما قبل عام ١٩٥٠م أمثال سليمان الندوي، ونفيس أحمد، وحسين فوزي، ومحمد ثابت الفندي وغيرهم، كما ظهرت العديد من العلامات البارزة في النصف الثاني من القرن العشرين من هؤلاء حسين مؤنس، وعبدالعزیز كامل، وعبدالله الغنيم، وشاكر خصباك، وإبراهيم شوكت، ومحمد محمدین، وعبدالفتاح وهبة، وعبدالعال الشامي، ومحمد غلاب، وحمد الجاسر، والعديد من الأسماء التي وردت في البحث، وكان لكل منهم دور - لا يمكن إنكاره مهما صغر هذا الدور - في إبراز هذا التراث في مقابل تجاهل الغالبية العظمى من الجغرافيين المعاصرين التراث الجغرافي العربي الإسلامي.

وأيضاً لا يمكن إهمال دور المعاصرين الذين نقلوا كتابات المستشرقين إلى العربية أمثال صلاح هاشم، وفتحي عثمان، وحمزة طاهر، وإبراهيم العدوي،

وعبدالحليم النجار وغيرهم ممن تمثل دورهم في الترجمة أو التحقيق أو النشر.

(٧) أظهرت الدراسة - بالرغم من الجهود التي بذلت في الآونة الأخيرة من قبل المعاصرين المسلمين - ضآلة ما تم نشره أو تحقيقه من مصنفات التراث الجغرافي الإسلامي، كما أن هناك العديد من الكتابات التي كتبها المستشرقون عن التراث الجغرافي الإسلامي تحتاج إلى النقل إلى العربية، وهناك نقص واضح من المحاور التي يمكن من خلالها إحياء التراث الجغرافي الإسلامي.

(٨) أوضحت الدراسة القصور الواضح من قبل الجغرافيين المعاصرين تجاه التراث الجغرافي الإسلامي، ويدل على ذلك:

- ضآلة عدد رسائل الماجستير والدكتوراه التي تفي بالتحقيق لمصنفات التراث الجغرافي الإسلامي في أي فرع منها.

- ندرة الأبحاث المنشورة في التراث الجغرافي الإسلامي مقارنة بالكم الهائل من الأبحاث المنشورة في الدوريات الجغرافية العربية.

- تدني اقتباس المعلومات من مصنفات التراث الجغرافي الإسلامي، وذلك من أجل تأصيل إسلامي للمعلومات الواردة في تلك الأبحاث.

- قصور واضح في تدريس الجغرافية الإسلامية في الجامعات العربية كمقرر أو مقررات مستقلة، ويظهر ذلك في نسبة ساعات تلك المقرر - إن وجد - إلى إجمالي الساعات الدراسية.

واستناداً إلى النتائج السابقة ورغبة في المعالجة لمشكلة عزوف الجغرافيين عن تراثهم يمكن إيراد بعض التوصيات التي يمكن تفعيلها ومنها:

(١) جمع المخطوطات الإسلامية والمصنفات الجغرافية المتاحة في البلدان العربية والإسلامية - ويمكن أن تتولى ذلك منظمة رابطة العالم الإسلامي

بالتعاون مع الجامعات الإسلامية - ثم تأسيس موقع لها على الشبكة العنكبوتية - لتسهيل الاستفادة منها من قبل الباحثين في الجامعات والهيئات البحثية.

(٢) إعادة طباعة ونشر المصنفات الجغرافية الإسلامية في طبعات تجارية ليسهل اقتناؤها، ويمكن لمطابع الجامعات العربية أن يكون لها الريادة في تبني هذا المشروع، لأن ملكيتها الفكرية للعرب والمسلمين عموماً، خاصة إذا لم يكن لها ملكية خاصة من قبل أحفاد المصنفين.

(٣) تشجيع الباحثين في مجال تحقيق المخطوطات الجغرافية الإسلامية، خاصة وأن أغلب المصنفات التراثية محفوظة في المتاحف.

(٤) شحذ همة علماء الجغرافيا الحرسين على تراث أجدادهم في الرد على افتراءات بعض المستشرقين، وذلك بترجمة ودراسة ما كتبوه عن التراث الجغرافي العربي الإسلامي، مع أهمية نشر هذه الردود في دوريات عالمية، وبلغات مختلفة، وأن تكون الحجة العلمية هي الوسيلة في الردود.

(٥) إدراج منهج التراث الجغرافي الإسلامي كمقرر رئيس في الخطط الدراسية للتعليم الجامعي، وما قبل الجامعي بل التراث العلمي الإسلامي في كل تخصص في الجامعات العربية وإبراز أثر المسلمين في تقدم الفكر العلمي العالمي في شتى نواحي المعرفة.

(٦) أن يأخذ الأساتذة المشرفون على عواتقهم توجيه طلابهم في مرحلتي الماجستير والدكتوراه بتسجيل الموضوعات ذات الارتباط بالتراث الجغرافي العربي الإسلامي المتعدد الفروع.

(٧) الرجوع إلى المصنفات الجغرافية الإسلامية كمصادر للدراسة في الأبحاث المتنوعة التي يكتبها الجغرافيون، وذلك من أجل تأصيل إسلامي لعلم الجغرافيا.

٨) توحيد المصطلحات الجغرافية على مستوى العالم الإسلامي المتحدث باللغة العربية حتى تكون لغة الخطاب الجغرافي واحدة على مستوى العالم الإسلامي، وهناك العديد من المحاولات في هذا الصدد. ويمكن ذلك من خلال الرجوع إلى المصطلحات الإسلامية في العصور الوسطى وعمل معجم لتلك المصطلحات.

وأخيراً فإن الكمال لله وحده فإن كان هناك نقص فسمة الأعمال البشرية أن يعتورها القصور، وإن كان العمل جيداً فهذا من فضل الله. والله من وراء القصد.

ملحق (١)

نصوص مختارة من التراث الجغرافي في المصنفات الجغرافية الإسلامية

وسئل * اشتباهوا البحر * عن المدّ والجزر فذكروا انه إنما يكون في
بحر فارس على مطالع القمر وانه لا يكون في البحر الاعظم الا مرتين
في السنة مرة يمدّ في شهور الصيف شرقا بالشمال ستة اشهر فاذا
كان ذلك طما الماء في مشارق البحر * بالصين وانحسر عن مغارب
البحر ومرة يمدّ في شهور الشتاء غربا بالجنوب ستة اشهر فاذا كان ذلك
طما * الماء في مغارب البحر * وانحسر بالصين ٥

(أ) نص من مصنف ابن خرداذبة "المسالك والممالك" ص ٧٥.

ورعوا ان البحر
ايضا كرى مدور ويرهان ذلك انك اذا لججت فيه غاب عنك
الارض والجبال شيئا بعد شيء حتى يغيب ذلك كله ولا ترى شيئا
من شوامخ الجبال فاذا اقبلت نحو الساحل ظهرت لك تلك الجبال
واجسامها شيئا بعد شيء فاذا قربت من الساحل ظهرت الاشجار
والارض ٥

(ب) نص من مصنف الهمداني "مختصر كتاب البلدان" ص ١٥٣.

f.18r الخفاء على ترتيب واحد، فيبدأ جميع ما وصفنا على ان بسيط الارض
مستدير وان الارض على مثال الكرة، ويعدّ فلو كانت الارض مسطحة
لا يعرض شيء مما وصفنا ولكن طلوع الكواكب على جميع نواحي الارض
في وقت واحد ولم يكن من يسير في الارض فيما بين الشمال
والجنوب يخفى عنه شيء من الكواكب الابدية الظهور ولا يظهر له شيء ٥
من الكواكب الابدية الخفاء ٥

(ج) نص من مصنف ابن رسته "الاعلاق النفسية" ص ١٣.

ملحق (٢)

بليوجرافية لبعض الكتابات العربية المعاصرة في التراث الجغرافي الإسلامي

إبراهيم خوري، (١٩٨٣م)، ترجمة جغرافية الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، مؤلفه ميكيل أندرية وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.
إبراهيم خوري، (١٩٩٣م)، الهمداني: صفة جزيرة العرب، عدد ٢، سلسلة نوايخ الجغرافية العربية في القرون الوسطى، دار المشرق، بيروت.
إبراهيم شوكت، (١٩٦١م)، تفكير العرب الجغرافي وعلاقة اليونان به وحقيقة كتاب جغرافية بطليموس وأصالته، مجلة الأستاذ، كلية التربية، مجلد ١٠، بغداد.
إبراهيم شوكت، (١٩٦٢م)، خرائط جغرافي العرب الأول، مجلة الأستاذ، كلية التربية، مجلد ١٠، بغداد.
إبراهيم شوكت، (١٩٦٢م)، كتاب الأقاليم للإصطخري، مجلة الأستاذ، مجلد ٨، مطبعة المعارف، بغداد.
إبراهيم شوكت، (١٩٧٠م)، الاضطراب: طرق وأساليب رسمه ووصفه، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد.
إبراهيم شوكت، (١٩٧٠م)، تيسير العمل بالاضطراب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد.
إبراهيم العدوي، (١٩٤٥م)، ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، سلسلة أقرأ، القاهرة.
إبراهيم العدوي، ترجمة: الحضارة العربية لمؤلفه هل Hell; Arab Civitization.
أحمد سوسة، (١٩٧٤م)، الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية، مؤسسة كولبتكيان ونقابة المهندسين العراقية، بغداد.
أحمد فؤاد باشا، (١٩٨٣م)، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، القاهرة.
أحمد فؤاد باشا، (١٩٩٧م)، العلوم الجغرافية في التراث الإسلامي، مجلة المنهل، عدد متخصص بالجغرافية، جدة.
الأمير مصطفى الشهابي، (١٩٦٢م)، الجغرافيون العرب، سلسلة أقرأ، دار المعارف، القاهرة.
أنور عبدالمليم، (١٩٦٧م)، ابن ماجد الملاح، سلسلة أعلام العرب، القاهرة.
أنور عبدالمليم، (١٩٧٩م)، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، عالم المعرفة، الكويت.

حسين مؤنس (١٩٦٢م)، تأريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، مدريد .
حسين فوزي، (١٩٤٣م)، حديث السندباد القديم، القاهرة .
حمد الجاسر، ١٩٥٩م، كيف دون العرب جغرافية جزيرتهم، الرياض .
حمزة طاهر، ١٩٥٨م، ترجمة: تاريخ الحضارة الإسلامية، لمؤلفه بارتولد، ط٣، القاهرة .
زكي محمد حسن، ١٩٤٥م، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، القاهرة .
سليمان الندوي، (١٩٣٣م)، علم جغرافيا العرب، دار الضياء .
شاكر خصباك، (١٩٦٧م)، تعريب كتاب الارتداد والكشف الجغرافي، لمؤلفه هـ. وود، بيروت .
شاكر خصباك، (١٩٧١م)، ابن بطوطة ورحلته، النجف، العراق .
شاكر خصباك، (١٩٧٥م)، في الجغرافية العربية: دراسة للتراث الجغرافي، بغداد .
شاكر خصباك، (١٩٧٩م)، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي، بغداد .
شاكر خصباك، (١٩٨٤م)، الخصائص العلمية للجغرافية العربية الإسلامية، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض .
شاكر خصباك، (١٩٩٧م)، القارة الآسيوية في كتابات الجغرافيين العرب والمسلمين، مجلة المنهل، عدد متخصص، رقم ٥٣٨، جدة .
صلاح الدين الشامي، (ب.ت)، الإسلام والفكر الجغرافي العربي، القاهرة .
صلاح الدين المنجد، (١٩٥٩م)، أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، ٣ أجزاء، بيروت .
صلاح الدين هاشم، (١٩٥٧م)، ترجمة كتاب تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب، لمؤلفه كراتشكوفسكي (جزءان)، القاهرة .
صلاح الدين هاشم، (١٩٨٤م)، أثار جغرافية إسلامية تنتظر النشر، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، الرياض .
عادل زعيتير، (١٩٧٩م)، ترجمة: حضارة العرب، لمؤلفه جوستاف لوبون، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
عبدالحليم النجار، (١٩٦٢م)، ترجمة كتاب: العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، لمؤلفه الدوميلي، دار القلم، القاهرة .
عبدالحفي عبد الغني، (١٩٨٤م)، نماذج حول إطلاق المصطلحات الجغرافية وتعريفها من خلال كتب الجغرافيين المسلمين، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، الرياض .

عبدالرحمن أيوب (ب.ت)، ترجمة: الشرق الإسلامي مجتمعه وثقافته، لجماعة من الباحثين الغربيين، القاهرة.
عبدالرحمن بدوي، (١٩٥٧م)، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، القاهرة
عبدالرحمن حميدة، (١٩٦٩م)، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق.
عبدالرحمن حميدة، (١٩٨٤م)، الحسن بن محمد الوزان، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، الرياض.
عبدالرحمن زكي، (١٩٨٤م)، الجغرافيون والرحالة العرب وما كتبوه عن الساحل الإفريقي الشرقي في العصور الوسطى، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، الرياض.
عبدالعال عبدالمنعم الشامي، (١٩٧٣م)، مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة.
عبدالعال عبدالمنعم الشامي، (١٩٧٧م)، مدن الدلتا في العصر العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة.
عبدالعال عبدالمنعم الشامي، (١٩٧٨م)، جغرافية المدن عند العرب، مجلة عالم الفكر، مجلد ٩، عدد ١، الكويت.
عبدالعال عبدالمنعم الشامي، (١٩٨١م)، مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت.
عبدالعال عبدالمنعم الشامي، (١٩٨٤م)، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط الجغرافية، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، الرياض.
عبدالعال عبدالمنعم الشامي، (١٩٨٨م)، جغرافية العمران عند ابن خلدون، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت.
عبدالعزیز كامل، (١٩٦٧م)، جغرافية الإسلام في أفريقيا، القاهرة.
عبدالعزیز كامل، (١٩٨٤م)، الأرض والإنسان عند الجغرافيين المسلمين، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، الرياض.
عبدالعليم عبدالرحمن خضر، (١٩٨٣م)، المسلمون وعلم الجغرافيا، مؤسسة المدينة، المدينة المنورة.
عبدالفتاح محمد وهيبة، (١٩٦٥م)، جغرافية المسعودي بين النظرية والتطبيق، منشأة المعارف، الإسكندرية.
عبدالفتاح محمد وهيبة، (١٩٦٥م)، جغرافية العرب في العصور الوسطى، القاهرة.
عبدالفتاح محمد وهيبة، (١٩٨٤م)، الجغرافية والثقافة الإسلامية، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، الرياض.

عبدالفتاح محمد وهيبه ، (١٩٨٥م) ، رحلات المسعودي مصدر من مصادر معارفه الجغرافية ، الكتاب الجغرافي السنوي ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض .
عبدالله يوسف الغنيم ، (١٩٧٤م) ، مصادر البكري ومنهجه الجغرافي ، الكويت .
عبدالله يوسف الغنيم ، (١٩٧٤م) ، المخطوطات الجغرافية العربية في المتحف البريطاني ، الكويت .
عبدالله يوسف الغنيم ، (١٩٧٧م) ، جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ، الكويت .
عبدالله يوسف الغنيم وطه محمد جاد ، (١٩٨٠م) ، ترجمة : الجغرافيا العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، الكويت .
عبدالله يوسف الغنيم ، (١٩٨٤م) ، جغرافية مصر من كتاب الممالك والمسالك لأبي عبيد البكري ، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، الرياض .
عبدالله يوسف الغنيم ، (١٩٩٩م) ، المخطوطات الجغرافية العربية في المكتبة البريطانية ومكتبة كمبردج ، مكتبة الأمل ، الكويت .
عز الدين فراج ، (١٩٦١م) ، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية ، القاهرة .
علي بن عبدالله الدفاع ، (١٩٩٣م) ، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية ، ط ٢ ، الرياض .
علي بن عبدالله الدفاع ، أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك .
علي بن عبدالله الدفاع ، رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية .
علي بن عبدالله الدفاع ، المناحي العلمية عند القزويني .
علي بن عبدالله الدفاع ، لمحات من تاريخ الحضارة العربية والإسلامية .
فتحي عثمان ، (١٩٧٨م) ، ترجمة : الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي ، لمؤلفه نفيس أحمد ، دار القلم ، الكويت .
فلاح شاكر أسود ، (١٩٨٤م) ، دور العرب والمسلمين في رسم الخرائط ، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، الرياض .
قدري حافظ طوقان ، (١٩٥٦م) ، العلوم عند العرب ، سلسلة ألف كتاب ، مكتبة مصر ، القاهرة .
قدري حافظ طوقان ، وآخرون (١٩٦٣م) ، ترجمة : نشاط العرب العلمي في مائة سنة ، منشورات جامعة بيروت الأمريكية ، سلسلة العلوم الشرقية ، بيروت .
محمد أحمد العقيلي ، (١٩٨٤م) ، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط ، المؤتمر الجغرافي

الإسلامي الأول ، الرياض .
محمد بهجة الأثري ، (١٩٥٢م) ، الجغرافيا عند المسلمين ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد .
محمد السيد غلاب ، (١٩٨٤م) ، الجغرافيون المسلمون ودورهم في تطور الفكر الجغرافي ، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، الرياض .
محمد الصادق عفيفي ، (١٩٧٦م) ، تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، القاهرة .
محمد كرد علي ، (١٩٥٠م) ، الإسلام والحضارة العربية ، ج ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .
محمد محمود الصياد ، (١٩٧١م) ، من الوجهة الجغرافية : دراسة في التراث العربي ، بيروت .
محمد محمود الصياد ، (١٩٨٤م) ، منهج العلماء المسلمين في البحث الجغرافي ، بحث للمؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، الرياض
محمد محمود محمددين ، (١٩٨١م) ، التراث الجغرافي الإسلامي ، الإسكندرية .
محمد محمود محمددين ، (١٩٨٤م) ، مفهوم الإقليم وأسلوب دراسته عند المقدسي ، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، الرياض .
محمد محمود محمددين ، (١٩٨٧م) ، دراسة في كتب التراث ، ندوة المدن السعودية ، جامعة الملك سعود ، الرياض .
مساعدة بن عبد الرحمن الجخيدب ، (٢٠٠٣م) ، منهجية التحليل الجغرافي عند ابن خلدون ، الندوة الجغرافية السابعة ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض .
مساعدة بن عبد الرحمن الجخيدب ، (٢٠٠٣م) ، الاتجاهات العلمية في المصنفات الجغرافية الإسلامية ، مجلة الدارة ، عدد ٢ ، الرياض .
نقولا زيادة ، (١٩٥٦م) ، الرحالة العرب ، دار الهلال ، القاهرة .
وليد عبدالله المنيس ، (١٩٩٠م) ، جغرافية الحضر : دراسة منهجية لجهود العلماء المسلمين في تطويرها ، حوليات كلية الآداب ، رسالة ٦٥ ، جامعة الكويت .
يوسف يحيى طعماس ، (١٩٩٧م) ، الموقع والموضع بين الأصالة العربية والمعاصرة ، المنهل ، عدد ٥٣٨ ، جدة .
يوسف يحيى طعماس ، (١٩٩٧م) ، دور العرب في تطوير العلوم البحرية ، المنهل ، عدد ٥٣٨ ، جدة .

ملحق (٣)

المكانة العلمية للفكر الجغرافي العربي الإسلامي

١) الاسم (اختياري): العمر: الجنسية: الدرجة العلمية:

اسم الجامعة المانحة للدرجة: الدولة: السنة: عنوان الأطروحة:

٢) التخصص العام: جغرافية طبيعية ☐ جغرافية بشرية ☐ التخصص الدقيق:

٣) الاهتمامات العلمية:

٤) عناوين الأبحاث المنشورة:

* *
* *
* *

٥) هل سبق لك الاطلاع على أحد كتب التراث

الجغرافي العربي الإسلامي؟ نعم ☐ لا ☐

إذا كانت الإجابة بلا فما هي الأسباب - مرتبة بالأرقام ١/ ٢/ ٣/ ..- التي حالت دون اطلاعك على أي من تلك المصنفات؟

☐ * صعوبة الحصول على تلك الكتب بسبب ندرتها في المكتبات العامة والتجارية.

☐ * عدم العلم باحتوائها على مادة علمية رصينة في التخصص الذي أحمله.

☐ * التصور بأن مادتها العلمية مقتصرة على سرد للمواقع الجغرافية دون خوضها في التأصيل العلمي للجغرافيا.

☐ * تهميش تلك المصنفات في الدراسات الجامعية وعدم إعطائها حقها في دراسة الفكر الجغرافي.

☐ * التأثير بالمدسة الجغرافية الحديثة التي تربط الحقائق الجغرافية بالفكر الجغرافي المعاصر.

☐ * الإهمال شبه المتعمد لما جاء بها من معرفة رصينة على الرغم من المعرفة بالجدية التي تتمتع بها تلك المصنفات.

* ضعف الاتجاه السائد في الأبحاث العلمية حول اقتباس النصوص أو المعلومات الجغرافية منها.



٦) الفكرة العلمية التي استقيتها من أي كتاب من كتب التراث الجغرافي العربي الإسلامي ملخص للمفهوم العلمي للفكرة:

اسم المؤلف وعنوان المصنف الذي توجد فيه الفكرة:

ما مدى تأييدك للفكرة؟ مرتفع جداً ☐ مرتفع ☐ متوسط ☐ منخفض ☐ منخفض جداً ☐

٧) من خلال قراءتك لبعض النصوص الجغرافية في المصنفات الجغرافية التراثية ما هي الخصائص - من وجهة نظرك - التي تتمتع بها النصوص مرتبة بالأرقام ١ / ٢ / ٣ / ٤ / ٥ من حيث العناصر التالية؟

انسياب النص ☐ رصانة النص ☐ إيجاز المعلومة ☐ شمولية المعلومة ☐
تعميم المعلومة ☐ دقة المعلومة ☐

٨) ما هو تقويمك للنقاط التالية (ضع دائرة على أحد الخيارات التي تتفق مع وجهة نظرك)

الخيارات المرتبطة بالنقطة (من وجهة نظرك)				الطريقة التي يمكن بها جني ثمار التراث الجغرافي العربي الإسلامي
متعدد	غير موافق	موافق إلى حد ما	موافق	تأليف الكتب التي تبرز الجوانب المضيئة للتراث العربي الجغرافي الإسلامي
متعدد	غير موافق	موافق إلى حد ما	موافق	توجيه بعض الأبحاث الطلابية لسبر التراث عبر التحقيق العلمي
متعدد	غير موافق	موافق إلى حد ما	موافق	وضع مقرر في الخطة الدراسية يهدف إلى كشف الكنوز العلمية للتراث
متعدد	غير موافق	موافق إلى حد ما	موافق	إدراج بعض من المادة العلمية التراثية في المقررات الجغرافية النظرية

الخيارات المرتبطة بالنقطة (من وجهة نظرك)				الطريقة التي يمكن بها جني ثمار التراث الجغرافي العربي الإسلامي
متعدد	غير موافق	موافق إلى حد ما	موافق	عقد لقاءات أو ندوات عامة لتغطية جوانب مضيئة من التراث الجغرافي
متعدد	غير موافق	موافق إلى حد ما	موافق	إعطاء الأولوية لأبحاث التراث الجغرافي الرصينة في الترقبات العلمية
متعدد	غير موافق	موافق إلى حد ما	موافق	إنشاء معهد متخصص لدراسة التراث العربي الإسلامي

٩) معلومات ترى أهميتها عن التراث العربي الإسلامي (اذكرها بشكل نقطي خلف الورقة)

المراجع والمصادر :

- ابن بطوطة ، محمد بن عبدالله ، (ب .ت) رحلة ابن بطوطة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- ابن جبير ، أبو الحسن بن أحمد ، (ب .ت) رحلة ابن جبير ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- ابن حوقل ، أبو القاسم ، (٩٧٩م) ، صورة الأرض ، منشورات مكتبة دار الحياة ، بيروت .
- ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله ، (١٨٨٩) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ب .ت) ، مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر ، بيروت .
- ابن رسته ، أبو علي أحمد ، (١٨٩٢م) ، الأعلام النفيسة ، المجلد السابع ، مطبعة بريل ، ليدن .
- ابن المجاور ، جمال الدين أبي الفتح ، (١٩٥١م) ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، مطبعة بريل ، ليدن .
- أبو العينين ، حسن سيد ، (١٩٨٩م) ، أصول الجيومورفولوجيا ، ط ١٠ ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية .
- باشا ، أحمد فؤاد ، (١٩٩٧م) ، العلوم الجغرافية في التراث الإسلامي ، مجلة المنهل ، عدد متخصص بالجغرافية ، جدة .
- بكير ، محمد الفتحي ، (١٩٩٣م) ، دراسات في الجغرافية التاريخية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (١٤١٩هـ) ، دليل الجامعة ، مطابع الجامعة ، الرياض .

- جامعة البحرين ، الموقع : <http://www.uob.edu.bh/colleges/arts/sciences3htm..>
- جامعة دمشق ، (٢٠٠٣م) ، دليل جامعة دمشق .
- جامعة القاهرة ، (٢٠٠٢م) ، دليل جامعة القاهرة ، منشورات الجامعة .
- جامعة الملك سعود ، (١٤٢٣هـ) ، مرشد الطالب للبرامج الأكاديمية (كلية الآداب) ، مطابع الجامعة ، الرياض .
- جامعة المنيا ، (٢٠٠٣م) ، لائحة كلية الآداب ، بيانات غير منشورة .
- جامعة وهران ، (٢٠٠٣م) ، لائحة مقررات جامعة وهران ، بيانات غير منشورة .
- الجخيدب ، مساعد بن عبدالرحمن ، (١٤٢٣هـ) ، منهجية التحليل الجغرافي عند ابن خلدون ، الندوة السابعة لأقسام الجغرافيا بالمملكة العربية السعودية ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- الجمعية الجغرافية السعودية ، (١٤٢٠هـ) ، دليل أقسام الجغرافيا بالجامعات والكليات بالمملكة العربية السعودية ، الرياض .
- الجمعية الجغرافية السعودية ، دليل رسائل الماجستير والدكتوراه في أقسام الجغرافيا بجامعات المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٩٩٣م .
- الحريري ، محمد مرسي ، (١٩٨٥م) ، الشريف الإدريسي ودور الرحلة في جغرافيته ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .
- حميدة ، عبدالرحمن ، (١٩٦٩م) ، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، دار الفكر ، دمشق .
- خصباك ، شاكر ، (١٩٧٥م) ، في الجغرافية العربية : دراسة للتراث الجغرافي ، بغداد .
- خصباك ، شاكر ، (١٩٨٤م) ، الخصائص العلمية للجغرافية العربية الإسلامية ، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .

- خضر ، عبدالعليم عبدالرحمن ، (١٩٨٣م) ، المسلمون وعلم الجغرافيا ، مؤسسة المدينة ، المدينة المنورة .
- الدفاع ، علي بن عبدالله ، (١٩٩٣م) ، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية ، ط ٢ ، مكتبة التوبة ، الرياض .
- الزهري ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ، (ب.ت) كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .
- الشامي ، عبدالعال عبدالمنعم ، (١٩٨٤م) ، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط الجغرافية ، بحث للمؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، المجلد الثالث ، إدارة النشر والثقافة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- الشامي ، عبدالعال عبدالمنعم ، (١٩٨٨م) ، جغرافية العمران عند ابن خلدون ، سلسلة علمية تصدر عن وحدة البحث والترجمة ، قسم الجغرافيا ، جامعة الكويت ، الجمعية الجغرافية الكويتية .
- شعبان ، سعد ، (١٩٧٨م) ، أعماق الكون ، مكتبة الفلاح ، الكويت .
- صفر ، البشير ، (١٩٨٤م) ، الجغرافيا عند العرب ، ترجمة : حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .
- الصياد ، محمد محمود ، (١٩٨٤م) ، منهج العلماء المسلمين في البحث الجغرافي ، بحث للمؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، المجلد الثالث ، إدارة النشر والثقافة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- عصفور ، محمود عبداللطيف ، سجل الرسائل للماجستير والدكتوراه في الجغرافيا في الفترة من ١٩٣٣-١٩٩١م ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، القاهرة .
- عبد الجواد ، محمد علي ، (٢٠٠٢م) ، جهود بعض الجغرافيين العرب التجديدية في سبيل صحوة تنوير جغرافية عربية ، الندوة السابعة لأقسام الجغرافيا بالملكة العربية السعودية ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .

- العقيلي ، محمد أحمد ، (١٩٨٤م) ، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط ، بحث للمؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، المجلد الثالث ، إدارة النشر والثقافة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- غلاب ، محمد السيد ، (١٩٨٤م) ، الجغرافيون المسلمون ودورهم في تطور الفكر الجغرافي ، بحث للمؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، المجلد الثالث ، إدارة النشر والثقافة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- الغنيم ، عبدالله يوسف ، (١٩٧٧م) ، جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ، الكويت .
- الغنيم ، عبدالله يوسف ، (١٩٨٠م) ، جغرافية مصر من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ، دار العروبة ، الكويت .
- القزويني ، زكريا بن محمد ، (ب.ت) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت .
- كامل ، عبدالعزيز ، (١٩٨٤م) ، الأرض والإنسان عند الجغرافيين المسلمين ، بحث للمؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، المجلد الثالث ، إدارة النشر والثقافة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- كراتشكوفسكي ، أغناطيوس ، (١٩٨٧م) ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة : صلاح الدين هاشم ، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، القسم الأول ، القاهرة .
- لومبارد ، موريس ، (١٩٧٩م) ، الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي ، ترجمة : عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر ، دمشق .
- محمد ، صباح محمود ، (١٩٨١م) ، دراسات في التراث الجغرافي العربي ، وزارة الثقافة والإعلام ، عدد ٢٥٢ ، دار الرشيد ، بغداد .
- محمدنين ، محمد محمود ، (١٩٨٤م) ، مفهوم الإقليم ودراسته عند المقدسي ،

- بحث للمؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، المجلد الثالث ، إدارة النشر والثقافة ،
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- محمددين ، محمد محمود ، (١٩٩٦م) ، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان ،
ط ٢ ، دار الخريجي ، الرياض .
- المسعودي ، أبو الحسن ، (ب .ت) ، التنبيه والأشراف ، دار صعب ، بيروت .
- المسعودي ، أبو الحسن ، (١٩٨٢م) ، مروج الذهب ومعادن الجواهر ، تحقيق محمد
محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول ، دار المعرفة ، بيروت .
- المغربي ، أبو الحسن علي بن سعيد ، (١٩٧٠م) ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق :
إسماعيل العربي ، المكتب التجاري للنشر ، بيروت .
- المقدسي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد ، (١٩٨٨م) ، أحسن التقاسيم في معرفة
الأقاليم ، دار إحياء التراث ، بيروت .
- المنيس ، وليد عبدالله ، (١٩٩٠م) ، جغرافية الحضر : دراسة منهجية لجهود العلماء
المسلمين في تطويرها ، حوليات كلية الآداب ، الرسالة الخامسة والستون ، كلية
الآداب ، جامعة الكويت ، الكويت .
- نفيس ، أحمد ، (١٩٧٨م) ، الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي ، ترجمة فتحي
عثمان ، دار القلم ، الكويت .
- النقشبندي ، عبدالغني النابلسي ، (١٤٠١هـ) ، علم الملاحة في علم الفلاحة ، دار
الأفاق الجديدة ، بيروت .
- هاشم ، صلاح الدين ، (١٩٨٤م) ، آثار جغرافية إسلامية تنتظر النشر ، المؤتمر
الجغرافي الإسلامي الأول ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- وهيبة ، عبدالفتاح محمد ، (١٩٨٤م) ، الجغرافيا والثقافة الإسلامية ، بحث
للمؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، المجلد الثالث ، إدارة النشر والثقافة ، جامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .

- يوسف ، حسن ، ويعقوب عبدالنبي ، (٢٠٠٢م) ، أثر الجغرافيين العرب في تقدم علوم الجغرافية ، الندوة السابعة لأقسام الجغرافيا ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- يوسف يحيى طعماس ، (١٩٩٧م) ، الموقع والموضع بين الأصالة العربية والمعاصرة ، المنهل ، عدد ٥٣٨ ، جدة .
- يوسف يحيى طعماس ، (١٩٩٧م) ، دور العرب في تطوير العلوم البحرية ، المنهل ، عدد ٥٣٨ ، جدة .